تموز من السنة ١٨٩٠ . وكان هذا الدير حديث العهد لم يتشيَّد الّا منذ ثماني سنوات فينقصهُ كثير من لوازم المعاش وراحة الجسم . فدخلهُ شرل دي فوكو وشاطر رهبانهُ بشظف عيشهم ينام معهم في مسقَّف فوق آخور تنبعث اليهِ روائح البهائم المزعجة ويحتملُ فيهِ شدَّة الحرّ صيفاً وبرد الثلوج المتراكمة على رؤوسهم شتاء ويقضي صلب نهارهِ بأشقّ الاشغال كالزرع والحصاد وقطع الاشجار والبناء.

فعاش الاخ ماري البريك ، وهو الاسم الذي اتخذهُ يوم ترهُّبهِ ، كاحد الرهبان البسطاء. لا يكاد يخطر على بال احدٍ من ناظريهِ انهُ ذاك الضابط الباسل وكشَّافة البلاد المجهولة والكاتب الذائع الصيت . بل كان قدوةً لاخوتهِ بممارستهِ اسمى الفضائل الرهبانيَّة وملازمتهِ الصلاة وانقطاعهِ الى الله حتى انَّ رئيسهُ كتب عنهُ انهُ لم يصادف طول حياتهِ رجلاً مثلهُ مستهام الفؤاد في حبِّهِ تعالى . وكان اذا رأى اهل تلك البلاد من ارمن وشركس واكراد يتوق الى خلاصهم واضرام قلوبهم بمحبَّتهِ تعالى وكان اذا مكَّنتهُ الفرصة يرفع الحاظهم الى خالقهم ويعدل بها عن اباطيل العالم

فتأكّد الرؤساء انَّ لذلك الراهب دعوةً خصوصيَّة أحبُّوا بعد التروّي في احوالهِ ان يساعدوهُ في تثبيتها ولذلك تقدَّموا اليهِ بان ينقطع الى درس اللاهوت استعداداً للكهنوت لعلَّهُ يحقّق آمالهُ فيهِ من خدمة الله وخلاص النفوس فارسلوهُ الى رومية الى ديرهم حيث قضى ثلاث سنوات في الدروس الكهنوتيَّة وهو في سائر اعمالهِ مثال التواضع والتفاني والطاعة لا يحبُّ الّا الاعتزال عن المخلوقات وينفر عن كلّ اكرام ومديح ليعيش لله ومع الله

واذ حان وقت زمن إبرازهِ النذور الاحتفاليَّة في رهبانيَّتهِ كشف نفسهُ بكل حرص وتدقيق لرؤسائهِ ليفحصوا قدام الله ما هي مشيئتهُ تعالى بحقّهِ أيبقى في الرهبانيَّة او يعيش في النسك والذلّ في وسط العالم خارجاً عن الدير في الفقر والعسر المدقع والخدمة الحقيرة . فكان جوابهم انَّ الله داعيهِ لهذه العيشة النسكيَّة خارجاً عن الدير . فرأى شرل دي فوكو أن يتبع مشورتهم لئلا يخالف دعوة الله

٧ الناسك الفلسطيني

في ٦ آذار ١٨٩٧ كنت ترى على باب كنيسة الراهبات الفرنسيَّات الكلاريس شابًا في كمال الشباب بزيّ غريب مرتدياً برداء ذي خطوط زرقاء فبيضاء سراويلهُ

من القطن الازرق تغطي رأسهُ لبادةٌ على دائرها قماش كالعمامة وفي رجليهِ نعلان عتيقان وقد علّق على زنّاره الجلدي سبحةً ذات حبوب ضخمة . فدخل البيعة وجثا امام الهيكل في اسفل الكنيسة وبقي هناك ساعتين لا يُبدي حراكاً فارتابت الاخت البوّابة في امره واخذت تراقبهُ لئلا يختلس شيئاً من الكنيسة وما كان ذاك الصعلوك الّا الضابط شرل دي فوكو الذي برز بهذا الشعار الذليل ليكفّر عن سالف جهالاته وكبريائه

على انّ رئيسة الدير لمّا طلب ان يواجهها والتمس منها ان تقبلهُ كخادم يقضي ساعات نهاره على باب الدير في الصلاة والخلوة والقيام بحاجات الراهبات في الخارج ما لبثت ان استشفّت شيئاً من امره لما في محيّاهُ من امارات النعمة والشرف لاسيما بعد أن ألقتْ نظرها الى اصلهِ الشريف احدُ الآباء الفرنسيين فلبّت طلبتهُ واقامتهُ وافهاً على الكنيسة ليقوم بنظافتها وخدمة كهنتها . واذ حاولت ان تقدّم لهُ مأوى البستاني في جنينة الدير أبى الّا ان يسكن في كوخ هناك ذي اربعة الواح بعارةٌ الآجرّ وتُلقى فيهِ نفايات الدير وكان لا يرضى لاكلهِ وشربهِ الّا بما تأكلهُ الراهبات الفقيرات

فأخذ يصرف نهارهُ بالصلوات المتواترة ومناجاة الله الساعات الطوال والقراءات الروحيّة في كتب يستعيرها من الدير وتأليف بعض المقالات الروحيّة وكان لا يهمل شيئاً من واجبات وظيفتهِ لاشغال الكنيسة وخدمات الراهبات في البلدة . فتخذاً لهُ مثالاً لحياتهِ النسكيّة الخاملة السيد المسيح في الثلاثين سنةً من حياتهِ الخفيّة في تلك المدينة عينها

وكان اهل الناصرة لأوّل نظرهم الى خادم الراهبات يستخفّون بهِ وكان صغارهم يصرخون وراءهُ لكنّهم اذ رأوا تُقى ذلك الفقير وورعهُ وإحسانهُ الى غيره من الفقراء بطعامه جعلوا يلتفتون اليهِ بالاحترام وعظُم في اعينهم . أمّا هو فكان يُسرّ بازدراء العالم والاهانات لا يفكّر الّا بحبّ الله والتجرُّد التامّ من المخلوقات . وكان في تلك الاثناء يكتب لاهلهِ في فرنسة رسائل تُشعر بروحهِ هذا الالهيّ وتحمل قرّاءها على تمجيد الله في قدّيسيه

وكانت رئيسة راهبات الكلاريس في القدس سمعت باخبار هذا الفقير الاختياري

في دير اخواتها في الناصرة فاحبت ان تنظره لتتحقق صحة ما بلغها عنه فارسلته رئيسة الناصرة الى اورشليم بحجة ارسال مكتوب سري فسافر مطيعاً ماشياً على الاقدام مستعطياً في طريقه خبزه . فكانت سيرته في القدس كسيرته في الناصرة بالزهد والتجرد والكفران بالنفس والحب لله حتى اتفق جميع من رآه على انه رجل قديس لا يكترث الّا لأمور الآخرة وخدمته تعالى عزّ وجل

على انّ رجل الله كان يشعر برغبة عظيمة في خلاص القريب فعرض افكاره على الاب هوفلين مرشده وطلب مشورته فكان جوابه ان يستعدّ لقبول الكهنوت قائلاً بمشيئته الشفقة وكهنوته يمكنه ان يؤدي لله وللكنيسة خدماً اعظم واجلّ ويردّ الى التربة نفوساً عديدة من الشرقيين حيث دعاه الله الى تبشيرهم

فرأى في هذه المشورة علامة جديدة من مشيئته تعالى ومن وقته ابحر الى فرنسة وبواسطة رئيس الآباء الترابيستيين الذي كان وقف على فضله وارشده الى دعوته نال من يد السيد مرتلي (Mgr Mantély) نعمة الكهنوت في ٩ حزيران ١٩٠١

٨ عيس الصحراء

أسمرت درجة الكهنوت مزيد اضطرام في قلب الاب شرل دي فوكو ورغبته في بذل نفسه في خدمة الله وصالح القريب . على انّ الربّ أوحى اليه بان يعدل عن الرجوع الى فلسطين ويسير حيث احرز لنفسه مجداً عالياً باكتشافاته في مراكش والصحراء فيعيش هناك بالنسك بين العرب فيرشدهم بمثله الى سواء السبيل والى الحياة الفضلى

فلم يشأ ان يباشر تلك الحياة النسكيّة الّا بعد ان يعرض نيّاته على الآباء الروحيين حتى اذا تحققوا انّ فكره هذا من الله جرى عليه واخرجه الى حيّز الوجود. والّا يفضّل الطاعة على الضحيّة . فأثّر تواضعه هذا ورغبته في اتمام مشيئة الله في السيد ليتيباك من جمعيّة المرسلين الافريقيين من الآباء البيض وفي السيد جيرين القاصد الرسولي على بلاد الصحراء فباركا قصده واطلقا له الحرّيّة باتباع الهام الروح القدس . وكذلك الجنرال حاكم الجزائر العام رضي بحلوله في تلك الجهات القاصية . فكان لهذا النبأ بين الضبّاط الفرنسويين المحافظين على ثغور الجزائر وجنوبي البلاد افضل وقع وقد عرف كثيرون منهم الضابط شرل دي فوكو واطّلعوا على اكتشافاته العجيبة

فكانوا يحتفون به حيثما سار ويكرمونه كالكاهن الناسك بعد ما اشادوا بذكره كعالم ورائد للصحراء. والحّوا ان يرافقوه الى آخر حدود الاراضي الفرنسوية بل ارادوا ان يبلغوه الى ما وراءها الى ناحات بني عبّاس من بلاد الصحراء.

وبنو عبّاس هذه قرية يتراوح عدد سكانها بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ نفس اهلها عرب ومولّدون وعبيد فاحسنوا استقباله اذ عدّوه كاحد المرابيط النسّاك. وكان الاب الناسك اتخذ للبسه قميصاً ابيض بمنطقة من جلد على حقويه علّق عليها سبحة. فلمّا احتلّ بجوارها اختطّ له دائرة جعل لها سياجاً واقام في وسطها له مسكناً حقيراً وبقربه معبداً للصلاة عُني ببنيته بعض المهندسين من الجنود الفرنسويين زانوه بتدبيج وبعض التصاوير واتخذ هناك جنينة صغيرة كان يعتني بزرعها ويستثمر بعض غلّاتها وبقولها لمعاشه البسيط ولاكرام ضيوفه

ومذ ذاك الحين عيّن الاب دي فوكو لنفسه نظاماً لساعات نهاره فقسمها بين الصلاة والشغل العقلي واليدوي فيبتدئ نهاره قبل الفجر ويقدّم الذبيحة المقدّسة ويبقى زمناً طويلاً ساجداً للقربان الاقدس الذي كان له اعظم مؤنس في عزلته

وكان يخصّ قسماً من نهاره للدروس الدينيّة من اللاهوت الادبي والنظري وتأليف بعض الكتب الروحيّة

وكان يدرس مع ذلك لغات القبائل فيتعمّق في درس العربيّة ويمعن النظر في لغة البربر الشائعة في شمالي افريقية. وكان في جواره قبائل أُخرى تُعرف بالطوارق لهم لغة خاصّة ذاتية عني بدرسها وألّف معجماً ضخماً لتعليمها جملة طوارقياً فرنسوياً (touareg-français)

فكانت دروسه هذه تقرّبه الى اهل البلاد فيأتون اليه ويحادثونه. فما لبث ان احرز ثقتهم واستمالهم بلطفه فكانوا يتردّدون اليه بكل شوق ويفاتحونه في امورهم ويأخذون منه معلومات لم تخطر على بالهم لتحسين زراعتهم وتجاراتهم وامورهم الاقتصاديّة. بل اقام نفسه معلّماً ومهذّباً لصغارهم

وكان في معاملاته هذه يجدّ من التبشير بالدين المسيحي ويجتزئ بامثاله وحياته القشفة التي كانت تؤثّر في ناظريه اكثر من اقواله. وانّما كان يبثّ في قلوب سامعيه تلك الحكم الذهبيّة التي يأنس بها ذوو الاستقامة والآداب الغريزيّة الحسنة. كمرنة

الخالق وشكر نعمهِ والاتكال عليهِ واحترام وجودهِ في كلّ مكان وكمعاملة القريب بالعدل والانصاف وكالحياد عن الآثم وغير ذلك مما كان يردّدهُ الاب دي فوكو على مسامع اولئك القوم الفطريين فيعمل كلامهُ في قلوبهم ويستصوبون تعليمهُ. ولثقتهم بالاب المتنسك بينهم اتخذوهُ حكماً في مشاكلهم فكانوا يرفعون اليهِ دعاويهم ويرضون بحكمهِ لهم او عليهم لعلمهم بانهُ يقضي دون محاباة بالوجوه ومراعاة للاشخاص. أمّا المساكين منهم فكان الناسك البارّ لا يردُّهم دون ان يشاطرهم ما لديهِ من القوت وربّما تخلّى لهم عمّا بقي عندهُ لعوزهِ

وكان الفرنسويون لشهرتهِ السابقة وصلاحهِ يتقاطرون الى مسكنهِ ويرتشدون باقوالهِ. وقد ردّ منهم كثيرين الى ممارسة فرائض الدين وكان اذا دعوهُ الى مرافقتهم في بعثاتهم لردّ غارات العدوّ يلبّي دعوتهم فيضمد جراح الصرعى ويدفن موتاهم ويعتني ايضاً بجرحى العدوّ

ولمّا رأى رؤساء الجيش الفرنسويون في جهات الجزائر والصحراء ما يؤدّيهِ الاب شرل دي فوكو من الخدم لجنودهم عرضوا عليهِ ان يأتي فيسكن في جهة الجنوب في بلاد هُجّار ليس بعيداً عن طرابلس الغرب حيث كانوا شيّدوا بعض الحصون في وجه قبائل من العصاة. وعلى مسافة يومين من بني عباس

فاجاب الى طلبتهم بعد معاينة تلك الناحية اذ وجد فيها ما يحتاج اليهِ لحياتهِ النسكيّة وخدمة الوطنيين. فانتقل معهم الى قرية تُدعى تمانرست وذلك في السنة ١٩٠٨ وكانت صحّتهُ قد ترعّكت فشفي في مقامهِ الجديد حيث بقي الى سنة وفاتهِ

وكانت عيشة الاب دي فوكو في تمانرست كعيشتهِ في بني عبّاس يحيي الليل بالصلاة ويقدّس نهارهُ بالاعمال التقويّة والاشغال المفيدة. ومن خدمهِ للعلم في تلك المدّة انّهُ جمع الحكم والامثال السائرة بين القبائل وكتب ما لحظهُ من اخلاقهم وعاداتهم. كما انّهُ كان يدوّن كلّ يوم ما يجري في تلك الجهات من الحوادث في مفكّرة نشر جانباً منها كاتبُ سيرتهِ

ومن مبرّاتهِ عيادتهُ للمرضى من اهل تلك الانحاء فيوزع عليهم الادوية ويعزّيهم في عللهم ويقوّيهم بذكر الله والالتجاء اليهِ والصبر على محنهِ

أمّا الاصحاء فكان يسعى جهدهُ بان يفيدهم بسعة علمهِ وخبرتهِ فيثقّفهم بآداب

الهيئة الاجتماعيَّة ووجدان الضمير ويعلمهم مبادئ علم الصحَّة والزراعة ونسج الملابس الصوفيَّة والقطنيَّة · فتلك كانت بشارتهُ بينهم بايمانهِ جاعلًا حياتهُ كرآة دينهِ القويم

وكانت غاية ما يتمنَّى أن ينشئ في الصحراء جمعيَّة رهبانيَّة تتخصص على مثالهِ في خدمة اولئك السكَّان فتزيل باعمالها اكثر منها باقوالها اوهامهم وتهذب طباعهم وترشدهم الى الصلاح وتقرّبهم الى معرفة ربّهم وفاديهم لولا انَّ الظروف حالت دون رغبتهِ فات هناك شهيد محبَّتهِ لتلك الاقطار المهملة وهالك تحرير الخير

٩ صوت رسول الصحراء

انفجر في اوائل آب من السنة ١٩١٤ ذاك البركان الهائل الذي سُمع دويُّهُ الى اقاصي المعمور · انتشبت الحرب الكونيَّة بين الدول المركزيَّة وحلفاء فرنسة فبلغ الخبر بسرعة البرق الى مسامع الاب دي فوكو فشعر بدمهِ الوطني يفور في عروقهِ ولم تمت فيهِ بسالة الضابط القديم على انَّهُ اسكت صوت الطبيعة ليقضي حياتهُ الكهنوتية في خدمة عرب الصحراء فكان وجودهُ بينهم عربونًا للهدوّ والسلام · فبقي في مركزهِ معزَّزًا محبوبًا يُشار اليهِ بالبنان لسموّ فضلهِ واستمرَّ على ذلك نحو سنتين الى صيف السنة ١٩١٦

فلمَّا دخلت ايطاليـة في الحرب في جانب الحلفاء ارسل الالمان والاتراك من قبلهم رجالًا يثيرون الفتن في طرابلس الغرب على الايطاليين وعلى حدود المستعمرات الفرنسويَّة فاجاب السيد السنوسي وانصارهُ الى دعوتهم فهاجوا وماجوا وقاموا للغزو فعاثوا في المراكز التي احتلَّها الطليانيُّون فسادًا ثمَّ حوَّلوا النظر الى التخوم الفرنسويَّة فخافوا ان يرتدُّوا عنها خاسرين فصبروا مدَّة الى حين بلغهم انَّ معظم الجنود المرابطين في الهجَّر قد استدعتهم الدولة الى حربها في فرنسة فأخذ اكثيرًا من حصونهم وان الناسك « المربوط » الفرنسويَّ ظلَّ وحدهُ في تمانراست فوجدوا الفرصة مناسبة للحملة عليهِ

وكان الفرنسويُّون سبقوا واستدركوا الخطر بتحصين منزل الاب دي فوكو حتى اذا واقعهُ السنوسيُّون يبقى مدَّةً في امان مع خدمهِ ريثما يأتي الجند لانقاذهِ

فلمَّا كان يوم الجمعة في غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٩١٦ والكاهن رجل الله

مستحرٌ في صلاته في غسق النهار واذا بفرقة من السنوسيين زحفت الى النسك المحصّن ليقبضوا عليه وينهبوا ما في معزله من الذخيرة . فاحاطوا بالمكان ولعلّهم كانوا عادوا بالخيبة لولا احد الحراثين الذي كان احسن اليه دي فوكو فصرخ اليه وزعم انهُ آتيه بالبريد فدعاهُ الى الباب ليأخذهُ فانخدع به الكاهن وفتح لهُ ومدّ يدهُ ليستلم البريد الموهوم فقبض عليها وسحبهُ خارجاً عن حصنه . وكان اسم ذاك الخائن «المدني» . فلمّا رآهُ الغزاة والطوارق الذين من حزبهم خارجاً وهو اعزل ربطوا يديه وراء ظهره دون ان يدافع عن نفسه وتركوهُ في حراسة واحد منهم ثمّ دخلوا الحصن فنهبوا كل محتوياته ثمّ احاطوا بأسيرهم فاستنطقوهُ عن الجنود الفرنسويين وما يعرف من احوالهم ومكانهم وعددهم فلم يُجزِ الاب جواباً ولم تلُح على وجهه امارات الخوف او القلق فتهدّدوهُ ببنادقهم واساؤوا معاملتهُ مدّة نصف الساعة فلم يُبدِ حراكاً فسألوهُ ان يتلو الشهادة الاسلاميّة فأبى قائلاً : « اني على اهبة الموت » . فما قال هذا حتى اطلق على رأسه بعضهم بندقيّتهُ . قال شاهد العيان وهو بولس خادمهُ : فلم اسمع للقتيل صوتاً وما علمتُ بجرحه حتى رأيت بعد هنيهة الدم يسيل من رأسه والجسم منحنياً ساقطاً على الحضيض على احد جانبيه

ثمّ شُغل القتلة بجمع أسلابهم وقتلوا هناك ثلثةً من الجند كانوا ابناء سبيل ثمّ تواروا عن العيان . وعند المساء اودع الحراثون المجاورون جُثث القتلى في اللحد وتركوا جثّة الاب دي فوكو على هيئته عند سقوطه وهو راكعٌ على ركبتيه ويداهُ مربوطتان خلف ظهره . وبعد سنةٍ مرّ عند قبره الجنرال لابرين (Laperrine) صديقهُ ففتح القبر ليستخرج الجثّة ويقيم لها مشهداً حسناً فاخذهُ ورفقتهُ العجبُ اذ رأوا جثة الاب كما كانت ساعة موته سالم الاعضاء لم يؤثّر الفساد في جسمه

هكذا مات موت الشهداء ذاك الرجل العجيب الذي دعاهُ الله ليضيء كالسراج المنير في ارض الصحراء المتسكّعة في ظلام الجهل ويحيي بين العرب كل فضائل سيّده المسيح مدّة ستّ عشرة سنة فات يوم الجمعة المخصّص لاكرام قلب يسوع الذي كانت قصوى غايته ان يمجّدهُ بين الشعوب التي كانت تجهل اسمهُ . ولا غرو ان ذكرهُ سيبقى مخلّداً وانّ امثالهُ ستبعث في قلوب غيره من الرسل الرغبة في تحقيق آماله لمجد الله وفخر كنيسته

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الحاء

٣٠٧ ﴿حاتم﴾ السيّد بولس مطران حلب على الروم الكاثوليك المتوفّى في ١٠ شباط ١٨٨٠ . لهُ في مكتبة الدار الاسقفيّة في حلب : ١ً ° دحض الاضاليل الباطشتانيّة الآتية من ضلالات تعلم هنديّة° كتبهُ سنة ١٨٤٩ لتزييف اوهام العابدة مريغريتا باطشتا المارونيّة . ٢ً مجموعة مواعظ في مجلّدين

٣٠٨ ﴿حاتم﴾ ميخائيل الشاعر الملكي . عاش في القرن السابع عشر لهُ ديوان شعر في اللغة العاميّة في مكتبة الموارنة في حلب نُسخ سنة ١٦٨٨ . ولدينا زجليّات وقدود عديدة من نظمهِ في مجاميع مكتبتنا الشرقيّة كثير منها قالها في العذراء مريم وفي مزارها في صيدنايا نشرنا بعضها في مجلة المشرق

٣٠٩ ﴿ الحاذق ﴾ الشيخ يوحنّا لهُ في مكتبة باريس Supplément nº) (4702 بين القتنيات التي دخلت اليها حديثاً تاريخ من اول العالم الى ايّام المسيح على شبه تاريخ جرجس بن المكين . كُتب سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٣م)

٣١٠ ﴿الحارث بن سنان﴾ عاش في القرن الرابع عشر للميلاد . قد ترجم الاسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث . من ترجمتهِ عدّة نسخ في باريس de) Slane: *Mss. ar.*, *N^os^*, 13 et 14) وفي لندن (Suppl. nº 2) وفي المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. nº 1)تاريخ نسخها سنة١٣٢٩بعناية السيد اندراوس ابن الشيخ السيّد سعيد الدولة القوصي

٣١١ ﴿الحارث بن كَلَدة﴾ هو طبيب العرب ونطيهم الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي النسطوري توفّي في اوائل الاسلام في خلافة عمر وقيل بلغ الى ايّام معاوية (اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ص ١٠٩—١١٣). يُعرَف لهُ وصايا طبّية متفرّقة في تواريخ الاطباء وكتب الأدباء لم تُجمع وذكر لهُ

ابن ابي اصيبعة كتابَ المحاورة في الطبّ بينهُ وبين كسرى انوشروان روى منهُ نبذة

٣١٢ ﴿الحاقلاني﴾ الشمّاس ابرهيم احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية ومدرّس اللغات الشرقيّة في كليّتها توفّي في ١٥ تموز ١٦٦٤ . نشر في باريس ورومية عدّة تآليف كسفر راعوث وسفر المكابيين الثالث واهتمّ بنشر التوراة المتعدّدة اللغات (البوليغلوتّا) . ونقل من العربيّة الى اللاتينيّة كتاب مختصر مقاصد حكمة فلاسفة العرب المدعوّ جام كيتي نما (مرآة الدنيا) في ٢٦ فصلًا وطبعهُ سنة ١٦٤١ . ونشر عربيًّا ولاتينيًّا قوانين المجمع النيقوي في ٨٤ بندًا كما يتداولها الشرقيّون . وترجم الى اللاتينيّة تاريخ ابن الراهب وكتاب المخروطات لابولونيوس مع شروح ابي الفتح الاصفهاني ووضعيّات ارخميدس المعرّبة بقلم ثابت بن قرّة وكتاب تعليم المتعلم للزرنوجي وكتاب ديوان الحيوان للسيوطي . ولهُ ردود على علماء البروتستانت في بيان صحّة اسم البابا وفي الدفاع عن افتيشيوس ابن بطريق . ولهُ ايضًا كتاب غراماطيق سرياني لاتيني ونقّح بعض كتب طائفته الطقسيّة في رومية . ومما يعرف لهُ من الآثار المخطوطة كتاب معجم عربيّ لاتيني في مكتبة باريس (Paris, nº 4345)

٣١٣ ﴿حُبَيش بن الحسن﴾ هو حُبَيش الاعسم تلميذ حنين وابن اخته وأحد النَقَلة من السريانيّة الى العربيّة . كان في القرن التاسع للميلاد . اطلب ترجمتهُ في فهرست ابن النديم (ص ١٩١) وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ١٢٩) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠١) وقد ذكروا لهُ هناك عدّة تعريبات من تآليف جالينوس وبقراط . ومن تآليفه كتاب الزيادة في مسائل حنين

٣١٤ ﴿الحجّاج﴾ يوسف بن مطر الحاسب الكوفي احد النَقَلة من اليوناني الى العربيّ . ازهر في القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح . ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٤٣—٢٤٤) وعدّد منقولاته . ومما ثبت لهُ على آفات الدهر : ١ً نقلهُ لكتاب المجسطي لبطليموس . ٢ً كتاب اصول اوقليدس وكلاهما في مكتبة ليدن (Leiden, Codd. 965 et 1045)

٣١٥ ﴿حجّار﴾ السيّد باسيليوس رئيس اساقفة صيداء ودير القمر المتوفّى سنة ١٩١٦ . عرّب كتابَي الكردينال بارمينوس اليسوعي سُلّم السعادتين فطبعهُ سنة ١٩١٠ ووصيّة السيّد المسيح الاخيرة على الصليب المطبوع سنة ١٩١١ ولهُ

تأليف في سيدة المنطرة قرب صيداء. ورسائل مخطوطة

٣١٦ ﴿حبّار﴾ القس ديونيسيوس الحلبي ترجمان مجمع انتشار الايمان وتلميذ مدرسة اليونان المنتمية الى القديس اثناسيوس. كانت وفاته في اواخر القرن الثامن عشر. من آثاره انه: ١° اعاد النظر في ترجمة الاب بطرس فروماج لكتاب الاب بولس سنيري المتعبد لمريم فطبع في رومية سنة ١٧٧٥ ثم في الموصل سنة ١٨٧٠ و١٨٩٦. ٢° نقح تعريب كتاب التعليم التريدنتيني الذي كان عربه الراهب البلدي الحلبي يعقوب بن اروتين من اللاتينية (Schnurrer, n° 308)

٣١٧ ﴿ا لحجري﴾ الاب كورنيليوس اليسوعي (P. Cornelius a Lapide) المتوفى في ١٢ آذار سنة ١٦١٧. قد فسّر كورنيليوس الحجري جميع اسفار التوراة من عهديها القديم والحديث تفسيراً واسعاً نقل منه الى العربية شرحه لاسفار العهد الجديد. فالاناجيل الاربعة عربها الخوري يوسف بن جرجس الحلبي احد تلامذة المدرسة المارونية في رومية في اوائل القرن الثامن عشر وعني بطبعها الخوري يوسف الدبس في المطبعة العمومية سنة ١٨٧٧ تحت عنوان تحفة الجيل في تفسير الاناجيل. منه نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة مدرسة الصلاحية في القدس (Or. Chr. 1914 p. 90). وفي مكتبتنا الشرقية منه تفسير انجيل مار لوقا كتب سنة ١٧٩٢. ٢° مقدمات كورنيليوس الحجري على الاناجيل الاربعة تعريب الخوري يوسف المذكور. منه نسخة في مكتبتنا الشرقية تاريخها سنة ١٧٥٣. ٣° تفسير رسائل مار بولس تعريب الخوري يوسف المذكور. منه نسخة في مكتبة الموارنة في حلب. وفي بيت الوجيه نقولا أيوب. وفي مكتبة مدرسة الصلاحية في القدس تفسيره لرسائل القديس بولس الى اهل كورنتوس (ib. 89). ٤° مقدمات على تفسير رسائل مار بولس. منها نسخة في مكتبتنا الشرقية. وقد اقتطف الخوري يوسف العلم كثيراً من هذين الكتابين في تأليفه المتون بتبيين الوسائل في تفسير الرسائل الذي طبع سنة ١٨٧٣. ٥° تعريب رؤيا مار يوحنا للخوري يوسف الحلبي ايضاً. طبعه سنة ١٨٧٠ يوسف الشلفون بهذا الاسم «العنوان العجيب في رؤيا يوحنا الحبيب» قرّظه فرحات في ديوانه

٣١٨ ﴿الحدّاد﴾ الخوري كيرلس المخلصي المتوفى نحو السنة ١٨٨٠. له في مكتبة دير المخلص قريباً من صيداء: ١° تاريخ مخطوط للرهبنة المخلصية

٢ً ترجمة السيّد افتيميوس صيفي مطران صيدا. ومنشئ الرهبانيّة المخلّصيّة

٣١٩ ﴿الحدّاد﴾ الخوري يوسف مهنّا الرومي الاورثذكسي الذي قُتل في دمشق في حوادث السنة ١٨٦٠ . لا نعرف لهُ غير ١ طبعهُ تعريبهِ لكتاب التعليم المسيحي لفيلاريتوس مطران موسكا وتعريب الكسندروس ستورزا الرومي في الحابين مع تنوير المشتاق بشأن حوادث الحابين . ومن حسناتهِ اهتمامهُ بطبع مياس مار يوحنّا فم الذهب على انجيل مار يوحنّا المعرَّبة بقلم ابن الفضل الانطاكي

٣٢٠ ﴿حسّون﴾ رزق الله الكاتب الحلبي المتوفَّى نحو السنة ١٨٨٠ في لندن اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (٢ : ٤٥-٤٩) وفي المقتطف في السنة ١٩١٠ ص ٣٢٤ و ٣٤١) . ١ً في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة حسنة من كتابهِ حسر اللثام عن حالة الاسلام في مجلدين . ٢ً ولهُ فيها ايضاً عدَّة كتب منسوخة بخطّهِ الجميل وعلى ورق منقوش وماوَّن كصبح الاعشى وديوان ذي الرمّة وديوان الاخطل وكتاب الكتّاب لابن درستويه وتاريخ الجزيرة لابن شدّاد . ٣ً لهُ ديوان شعر نُشر منهُ قسمٌ في المشرق والمقتطف . ٤ً ومن مطبوعاتهِ النفثات ضمّنهُ قطعاً ادبيَّة شعريَّة . وقد نظم سفر أيوب ومراثي ارميا التي ونشيد الاناشيد . طُبع في المطبعة الاميركانيَّة تحت عنوان اشعر الشعر سنة ١٨٧٠

٣٢١ ﴿الحصروني﴾ مخايل سعاده بن حابونا مطران طرابلس المتوفَّى في ١٣ شباط ١٦٦٩ . لهُ : ١ً كتاب في الحساب الغريغوري بالكرشونيّ طبعهُ في رومية (راجع وصفهُ في الصفحة ٧٨٧) . ٢ً لهُ في مكتبتنا الشرقيّة «كتاب احكام شرعيَّة تنجرها العلمين وحذّوها المجامع» . وهي موجودة الى يومنا هذا في اللغة السريانيَّة وقطعها في العربيّة المطران مخايل المكرَّم للاروني الحصروني الاصل «تاريخهُ من القرن الثامن عشر . وقبلهُ اربع ورقات عن المواريث دون ذكر صاحبها ولعلّها لهُ ايضاً

٣٢٢ ﴿الحصروني﴾ يعقوب بن سمعان من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية توفي نحو السنة ١٦٦٠ . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (Bibl. Or. I, 631, n°8) : ١ً ترجمة قوانين المدرسة المارونيَّة في رومية من الايطاليَّة الى العربيَّة سنة ١٥٨٥ . ثم ٢ً ترجمة قدّاس مولد السيد المسيح من اللاتينيَّة الى العربيَّة . ٣ً وهو الذي عرَّب عن

اللغة الطليانيّة كتاب تفسير واسع على التعليم المسيحي للكردينال بلرمينوس وطبعة في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٢٧

٣٢٣ ﴿الحصروني﴾ يوحنّا بن حاتم الحوشبي الراهب الدومنيكاني ومطران طرابلس الماروني ويدعوهُ البعض يوحنّا دايس توفي في رومية سنة ١٦٣٢ . لهُ ١ً في مكتبة انتشار الايمان في رومية كتاب مناقضات القرآن (Steinschneider: *Polem. Literatur*, p. 402) . ٢ً وجدنا لهُ بين مخطوطات مكتبة السيد ميخايل اخرس مطران حلب الماروني كتاب قواعد الانجيل والعلوم الرسوليّة والمجامع التيليّة ومراسيم الآباء والمعلمين البيعيّة في ٥٠ فصلاً . ٣ً في مكتبة بيت الدكتور جدّ في حلب مختصر اللاهوت للحصروني هذّبهُ بطرس التولاوي سنة ١٦٩٩ . وفي نسخة اخرى في مكتبة الموارنة عنوانهُ كتاب اللاهوت للمطران يوحنا الهمدان الحصروني . ٤ً لهُ بين مخطوطات مكتبة دير مار شليطا (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٠) كتاب مقتطف الاسرار بخط القس جرجس افرام الباني . ٥ً وذكر لهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ٢٠٣) تعريب جزء من خلاصة مار توما اللاهوتيّة

٣٢٤ ﴿الحصروني﴾ يوسف بربور مطران طرابلس احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية المتوفّى في ٢١ ك ١ سنة ١٦٩٥ . لهُ ١ً : كتاب علم النيّة المدعو ايضاً علم الضمير النيّر للكهنة والاعوام هذّبهُ التولاوي وهو في ٢٩ باباً . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة في اولها ترجمة حياتهِ . ومنهُ نسخة ايضاً في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٦٣) تاريخها سنة ١٦٧٩ . وفي مكتبة المنسيور جرجس منش تاريخها سنة ١٧٥٢ . ٢ً ولهُ نسخة في مكتبتنا في آخرها جواب على سؤال القائل اليهِ البكري في موت المسيح . وذكر لهُ السمعاني في المكتبة الشرقيّة (BO, I, 578, n° 36) نسخة لاعمال ديونيسيوس برصليبي بالسريانيّة في تاريخ سنة ١٦٤٦ في رومية

٣٢٥ ﴿الحكيم﴾ ابرهيم الحلبي الكاثوليكي . توفي نحو السنة ١٧٧٠ . اهدانا جناب الوجيه بشاره افندي يارد نسخة من رحلتهِ من حلب الى مصر في اواسط القرن الثامن عشر بلغة فصيحة مسجّعة مع نتف شعريّة فنشرناها في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٥٥٩ و٥٨١ و٧٠٨) . ثم اوقفنا جناب الاديب المحقق عيسى افندي اسكندر معلوف على ديوانهِ فنشر منهُ في اعداد تلك السنة (ص ٨٣٣ و٨٩٠ و١٠١٢ و ١١١)

عدّة قصائد في شؤون مختلفة تدلّ على طول باعهِ في النظم في ذلك العهد مع قلّة الكتبة والشعراء بين النصارى

٣٢٦ ﴿ حكيم ﴾ السيد مكسيموس مطران حلب ثم بطريرك طائفتهِ الملكيّة الكاثوليكيّة المتوفّى سنة ١٧٦١ . ١ً وقفنا لهُ في حلب في مكتبة المرحوم توما أيوب الخوري السرياني على اثنتي عشرة رسالة كتبها بين السنتين ١٧٣٣ و١٧٣٧ منها مناشير راعويّة ومنها رسائل تقويّة وبينها تأليف عنوانهُ «روضة الآداب المسيحيّة» . ٢ً وذكر لهُ السيد عطا في تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ٥٥) كتاب منهاج التوبة . ٣ً ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة كتاب التحديدات الكاثوليكيّة بالايمان والاسرار السبعة البيعيّة ألّفهُ اذ كان متغرّباً في جبل الدروز سنة ١٧٣٧ وفي آخرها منشور حسن في واجبات الكهنوت وقد نشرنا لهُ رسالةً الى ابناء طائفتهِ المضطهدين (راجع المشرق ١٦ : ٣٤٥–٣٥١)

٣٢٧ ﴿ حكيم ﴾ القسّ ارسانيوس هو ارسانيوس بن شكري حكيم اروتين الذي رُسم مطراناً على حلب وتوفّي سنة ١٨٠٢ . لهُ عند المنسيور جرجس منش نسخة من تاريخ الرهبنة اللبنانيّة (اطلب المشرق ٥ : ٧٨٨ والنعمة ١ : ٣٩٤)

٣٢٨ ﴿ حنين بن اسحاق ﴾ هو ابو زيد العبادي الطبيب والعالم النسطوري الكبير المتوفى سنة ٨٧٣ (اطلب ترجمتهُ في فهرست ابن النديم ص ٢٩٥ وفي تاريخ الحكماء للقفطي ص ١٧١–١٧٦ وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٨٤– ٢٠٠) وقد ذكروا لهُ عدداً عديداً من التصانيف ومن تعريبات فلاسفة اليونان . فمن تآليفهِ الباقية : ١ً كتابهُ المدخل في الطبّ في مكتبة الاسكوريال (Escur., 848) وفي مكتبة الفاتيكان (Vat., 348) . ٢ً مسائل في الطبّ للمتعلّمين . في مكتبة برلين (Ahlwardt, 6258) ومكتبة اوكسفرد (Bodl. I 594 et 636) وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً رسالةٌ في اوجاع المعدة (Escur. 847) . ٤ً اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء (Munich, 651) . ٥ً في مكتبتنا الشرقيّة مقالةٌ في كيفيّة ادراك حقيقة الديانة . نشرناها سابقاً (اطلب مجموع مقالاتنا الدينيّة لقدماء الكتبة ص ١٢١) . وقد بقي كثير من تعريباتهِ في مكاتب اوربّة وفي الاستانة وانحاء الشرق . وممّا اطّلعنا عليهِ تعريبهُ لكتاب النبات لديوسقوريدس في مكتبة أيا صوفيا في الاستانة . ووقفنا

في حامات عند بعض اهلها على تعريبهِ لكتاب جالينوس الأعضاء الآلة. منه نسخة اخرى لدى الاديب يرجس بك صفا تاريخها سنة ٤٢٠ هـ ووجدنا له في مكتبة بغداد العمومية مجموع سبع مقالات طبية وفي نسخة اخرى رسالة في تدبير المولودين ثمّ معاني بقراط في المولودين لثمانية اشهر (لها بقيّة)

الخُدَع الحربيّة في الحرب الكونية

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

قد ارتنا الحرب الكبرى من ضروب العجائب والغرائب ما لم يتوقعهُ متوقّع بل ما لم يحلم بهِ حالم. ولا غرو فان المتحاربين — وهم ارقى الشعوب حضارةً — لم يتركوا فرعاً من العلوم العصرية الّا وقد سخّروهُ لادارة رحى الهيجاء. وطحن العدوّ الى ان يجعلوه هباءً منثوراً. بل لم يقفوا على وسيلة من وسائل المراوغة الّا وقد تذرّعوا بها لملاشاة مناوئيهم في اقرب وقت وعن اقرب طريق.

لعمري ان مهارتهم وتفنّنهم في استنباط وسائط القتل والتدمير قد زادا على تاريخ تلك الحرب المشؤومة آلافاً من اسوإ صحائفه واشدّها سواداً. على ان في هذه الصحائف المخطوطة بسواد المُهج عبرةً للمعتبر تريه غريب مقدرة العقل البشري على درء الاخطار المهددة ومقابلة ذرائع الهلاك المستخفية بمثلها غرضاً لا نوعاً. ذلك مما حدانا الى تحبير هذه المقالة ونشر بضع صحائف مطويّة من سفر الحرب الكونيّة عسى أن يرتاح القراء الكرام الى قراءتها

الباب الاول: بعض مكايد الاسطول الانكليزي

معلومٌ لدى القاصي والداني ان مئات الغوّاصات الالمانية الضاربة ليلاً ونهاراً في

طول البحار الاوربيَّة وعرضها والمدمّرة لمئات من سفن الحلفاء بأسرع من طرفة عين كانت خطرًا دائمًا يتهدَّد كيانهم بل سيفًا مسلولًا على حياتهم القوميَّة . فلا بدع أن قاموا وقعدوا وأرغوا وأزبدوا لا قرار لهم حتى ينجوا من آفاتها ولو ببذل النفوس والنفائس . ولاسيا ان الاسطول الالماني بعد فشله في معركة يوتلند لزم السكون بجوار مدينة كيل وهو في حرز حريز من كل غائلة مفاجئة . فلم يتجاسر الى ان وضعت الحرب اوزارها على الخروج من مكمنه لمبارزة الاسطول الانكليزي وكان يرتعب من سطوته ولا ارتعاب الزعنفة الرعديد من الجبَّار الصنديد

فالحالة هذه لم يرَ الحلفاء — وفي مقدّمتهم الانكليز — محيصاً من اعداد العُدَّة وشحذ القريحة لدرء خطر الغوّاصات الالمانيَّة بل لمحقها ان امكن وقد اوشكت ان تحوّل قعر بحر الشمال والاطلنتيك والمتوسط الى مدفن هائل لسُفُنهم وبحَّارتهم البسلاء المستميتين فداء عن الوطن العزيز . وهاك بعض ما ابتكره الدهاء الانكليزي من المكايد المدهشة لبلوغ ضالَّته المنشودة

١ المدرعة الكاذبة

غنيّ عن البيان ان المدرّعات الملقّبة بدريدنُوط (Dreadnought) هي اضخم البوارج الانكليزية بل اقدرها واهولها . ولذلك صنع الانكليز لمراوغة أتباع غليوم الثاني عدَّة سفن على شكل الدريدنوط في ظاهرها لا ينقصها سوى الصواري والمداخن لتشبهها شبهاً تامًّا . فاذا برزت غوّاصةٌ للعدوّ باحدى تلك « المدرّعات الكاذبة » ايقنت انها مدرّعة محصنة ضربتها الدافع الالمانيَّة فدمّرت اعلى اجزائها ولم تُوفَّق الى تدمير جسمها الغليظ المنيع . فكانت في الحال ترميها بانواع القذائف من طوربيلات وقنابل فتذهب كل هذه ادراج الرياح

وما ادراك يا صاح ماهيَّة المدرعة الكاذبة ؟ هي مطارٌ اي مستودع للطيارات طافٍ على وجه اليمّ يحوي في بواطنه نحو عشرين طيَّارة وعلى ظهره سطحٌ بطول زهاء خمسين مترًا تُرفع اليه الطيَّارات بآلة رفع الاثقال ثم تجري من احد طرفيه الى الآخر على دواليبها فتبلغ السرعة اللازمة لتحلّق في الفضاء . وما ايسر ما كان عليها حينئذٍ ان تُلقي على الغوّاصة المخدوعة قنبلةً متفجرة تدخلها في خبر كان !

اما سرعة تلك المدرَّعات فيُقضى منها العجب حيث ادركت نحو ٢٦ عقدة أعني زهاء ٤٨ كيلومترًا في الساعة ، وهي سرعة كثير من القطارات حتى في اوربة . وكانت هذه السفن الغريبة لا تغوص في المياه الى عمق يتجاوز ثلاثة امتار فيسهل عليها والحالة هذه الدخول في كلّ المرافئ

لمّا حدثت المدنة في اواسط تشرين الثاني ١٩١٨ كانت احدى هذه المدرَّعات الكاذبة بل الدواهي الدهياء — واسمها الهائجة (Furious) على أهبة الذهاب الى ما يجاور برلين من السواحل الالمانية . وقصدُها ان تُطلق هناك طيارات تحلّق فوق عاصمة الاعداء فتلقي القنابل على مبانيها والرعب في افئدة نحو ثلاثة ملايين من قاطنيها

ومن غريب ما اتفق لاحدى تلك المدرَّعات الناشئة وهي حديثة النشأة أنّ قد رآها ربّانُ سفينةٍ منارية (bateau - phare) راسيةٍ بقربة من شواطئ اسكتلندة الشرقية . فأبرقت فورًا الى اولي الربط والحلّ انها عاينت «دريدنوطاً» خرّبت مدافعُ العدوّ كلّ مشارفهِ من صوارٍ ومداخن وابراج بل دمّرت اجهزة تلغرافه اللاسلكي بدليل كونه لم يُجِز جوابًا على البرقيات الموجّهة اليه . فانتشر ذلك النبأ الرائع في كلّ انحاء بريطانية العظمى انتشار النار في البارود . ونسجت احدى جرائد غلاسغو بُردةَ مقالةٍ ضافية الاذيال وصفت فيها المعركة البحرية الهائلة التي كان الدريدنوط المشار اليه احدى ضحاياها !؟ فأسرعت اذ ذاك السلطة العسكرية ونشرت بلاغًا رسميًا لتكذيب هذه الاشاعة التي تمخّضت بها مخيّلة الصحافي الاسكتلندي، فكان صوتها كالصارخ في الصحراء . وقد بلغ هَرجُ الناس ومَرجُهم مبلغًا عظيمًا فتقاطر الالوف من كل طبقات الشعب الى المرافئ الانكليزية لمشاهدة الاسطول البريطاني العائد من بلاءٍ هائل على قولهم وألوية الظفر المبين خافقة في اعلى صواريه . ولم يهدأ بال الجموع المتألبة حتى صدر بلاغ رسمي آخر مقرونٌ بصورة شمسيّة تمثل المدرّعة الكاذبة . فحدّث عن دهش الجماهير ولا حرج !

٢ مائدة الغواصات

حاول الالمان اثناء الحرب ضَرْب نطاقٍ حيّ ومتحرّك من الغوّاصات حول

فرنسة والجزر البريطانية لالقائها في شر مجاعة بقطع كلّ الصلات البحرية اللازمة لتموينها . فخاب ذلك السعي كل الخيبة بفضل نفر من اولي الافكار الثاقبة والعزائم الماضية وفي طليعتهم الدكتور شركو (Charcot) الفرنسي فهو من اول منظمي مناهضة الغوّاصات الالمانية . كان قضى حصّةً وافرة من حياته في خوض البحار القطبية وارتيادها وأحاط باطراف فنّ صيد الحيتان . فعرف عن خبرة طويلة ان الحوت اذا ولّى هارباً من صيّاده بمنتهى السرعة أحدثَ على سطح المياه انتفاخاً يجاريه متجهاً بطبيعة الامور الى وُجهة سيره الوشيك

فعلى هذه الملاحظة البسيطة استند الدكتور شركو فوضع خطة لمحاربة الغواصات الالمانيّة . ولمّا درى اقطاب البحرية الانكليزية بسداد تلك الخطة استقدموه الى بلادهم وحوّلوا تحت ادارته باخرةً للصيد الى سفينة شديدة السرعة كاملة العُدّة لمطاردة الغوّاصات وتدميرها . ثم تطوّر رسم هذه السفينة وتحسّن تدريجاً حتى بلغ اوج الكمال في الطرز الذي أطلق عليه الانكليز اسم سفينة قاف (Q.-boat) وهو آية الآيات في بابه حيث انه في واقع الامر سفينة في داخل اخرى كما سيتضح لك في البيان التالي

٣ سفينة في سفينة

كان الغرضُ من ابتكار الطرز الجديد « لمعاندة الغوّاصات » جعلَ التحسينات الجديدة التي ادخلها الالمان بغوّاصاتهم في حكم العدم . ومن اشهر تلك التحسينات احاطةُ تلك السفن بدروع سميكة وتجهيزها بمدافع بعيدة المرمى وبمناشير مركوزة في مقدَّمها وقادرة على قطع الاشراك الحديدية الحائلة دون سيرها في عمق البحار . اما السفينة « قاف » فكان الانكليز يستخدمون لصنعها بعض البواخر الناقلة للفحم ولا يغيّرون شيئاً من ظواهرها وذلك لمخاتلة العدوّ . لكنّ داخلها كان يُحوّل اتمّ تحويل . فتبدل عوارض الخشب بمثلها من الفولاذ ، والسطح الخشبي بصفائح الحديد ويقسَّم قعرُ الباخرة الى عدة غرف مستقلة لا يجد الماء سبيلاً للتسرب من احداها الى الآخرة . امّا جوانب السفينة فكانت تُبطَّن داخلاً ببطانة كثيفة من الفلّين لتخفيف صدمات القذائف الصادرة من الغوّاصات . ومطاوي القلوس المبعثرة شذر مذر على ظهر

الباخرة كانت محض مخابئ تحتجب تحتها اجهزة تلغراف لاسلكي من اكمل طرز. والآلة الرافعة للاثقال المركوزة على الظهر ايضاً لم تكن سوى مكمن لاحد الضباط البحريين فيلاحظ من داخله بواسطة نظارة تبين حركات الغواصة الالمانية الهاجمة فيلقي الاوامر المناسبة على القائمين باطلاق المدافع الواقعة في اسفل السفينة. في حين الاطلاق كانت جوانب الباخرة تنفتح على شكل ابواب ذات رزة افقية وذلك بمجرد الضغط على زر كهربائي. وبجوار المدافع آلات ترفع اليها القذائف المكردسة في قعر البارجة ولكل سفينة «قاف» ثلاثة مدافع: اثنان من عيار نحو مئة ميلمتر والثالث من عيار يفوق ١٥٠ ميلمتراً

اما طريقة استخدام تلك البوارج الجهنمية فان فيها من العجب ما فيها. كان من ديدنها عدم الارساء مرتين متواليتين في اي مرفأ وجدته وذلك خشية من مراقبة الجواسيس الالمان. فالسفينة «قاف» تنطلق بوسقها الفحمي من احدى الموانئ المجاورة لكرديف ونيوكاسل وتتوغل في كبد البحر حيث تلتقي باحدى النسافات الانكليزية فتستمد منها الذخائر وتقف على مواقع الغواصات الالمانية فتسرع نحو هذه للايقاع بها. ومتى قربت المسافة بين البارجتين تتظاهر السفينة الانكليزية بالرعب الشديد وتنفتل مدبرة كانها تريد الهرب من مأزق هائل. فيوقن قبطان الغواصة الالمانية بالظفر الذريع ويعرض عن رمي العدو بطوربيل ذي ثمن باهظ، ولاسيما انه في مأمن من هجماته لا يشك بالغلبة، فيدنو الى خصمه بشية القوي المتسلح الساطي على ضعيف أعزل ثم يلقي من كثب قنبلة رخيصة القيمة كافية في نظره للاشاة اسعو. حينذاك تنفتح فجأة جوانب السفينة الهاجمة وتظهر فوه مدافعها المريعة وتمطر على الغواصة الحرقاء وبلاً من القذائف الضخمة وربما اجتزأت بقنبلة واحدة او باثنتين لتدميرها ولاسيما ان المدفعين (الطوبجية) كانوا من احذق الرماة لا يخطئون مرمى. وكانت الاوامر العالية فوق ذلك تقضي بعدم مراقبتهم للعدو الا اذا ثبت لهم النجاح والفوز التام

ومن غريب الاتفاقات ان سفن «القاف» لم تناجز اية غواصة المانية القتال الا دمرتها. وكفى شاهداً على ذلك ان المانية رغماً من بثها آلافاً من العيون الراصدة في

طول بلاد الحلفاء. وعرضها قد جهلت حتى اواخر تشرين الثاني ١٩١٨ وجود تلك السفن المادرة

هاك على سبيل خاتمة لمقالتنا رواية مأثورتين جليلتين من مئات مآثر تلك السفن قد انطلقت احداها واسمها سَفُلكْ كُسْت (Suffolk Coast) بقصد مفاجأة غواصة لوحظت بقرب سواحل نيوكاسل فرماها العدوّ عند الغسق وعلى مسافة اقلّ من الاربعمائة متر بطوربيل قتل او جرح كل القائمين بأدارة الآلات البخارية . عندئذٍ طفت الغواصة الظافرة على وجه المياه لتدور حول فريستها وتشمت بجزلها . بل جلس قائدها على كرسيّه واوقد لفافة تبغ، وهو يعلل النفس بمشاهدة انكسار الدّ الاعداء. فاذا بقنبلة أُطلقت من الباخرة الانكليزية فذهبت برأس القائد المتشامخ . وتلتها اخرى جعلت البحارة الالمان هباء منثوراً فلم تترك لهم اثراً بعد عين . وعقبتها ثالثة اخترقت الغواصة من جانب الى جانب فاغرقتها في برهة ثانيتين !

امّا المأثرة الثانية فقد شرّفت السفينة المسماة رُزِ تَنبُرلَند أصيبت هذه ايضاً بالطوربيل وجُرح قبطانها جرحاً خطراً فضغط بيديه على ثُغرة ذلك الجرح البليغ الممزّق لبطنه وبقي في مركزه يُصدر الاوامر اللازمة لمتابعة القتال . صبَر صبْر الابطال على مضض الالم وحالما طفت الغوّاصة أمرَ باطلاق القنابل فكانت الاولى ضربةً قاضية على العدو . على ان الطوربيل الالماني عطّل الباخرة الانكليزية فباتت على وشك الغرق هي ايضاً . فالحّ البحّارة على القبطان الهمام ليرضى بالنزول معهم في احد زوارق النجاة . فأبى وقال همساً وعلى ثغره ابتسام الابطال حين يبيعون الارواح في سبيل الوطن: «ما الجدوى ؟ انه لمن المحال ان أُدرك البرّ وانا في قيد الحياة . لقد قمتُ بالواجب ولذلك اموت والفرح ملءُ فؤادي !»

*

ذلك بعض ما رأينا اطلاع القارئ عليه من مكايد الاسطول الانكليزي ضدّ الالمان وفيه عبرةٌ بل عِبرٌ للمتروّي . على ان جعبة الحيل الحربيّة لا يفي بها احصاء. وقد آن الاوان لنكشفَ منها ونعرض على نظر الجمهور احدى وسائل الحرب الكبرى.

التي تشبّث بها المتحاربون وهي من الطفها وادقها ألا وهي حمام الزاجل(١) وهو الهادي فنبيّن طرق استعماله المتنوعة وما يقتضيه تدبيرها من التأهب الطويل الصبر

الباب الثاني : استخدام حمام الزاجل في الجيش الفرنسوي

لهذا الاستخدام اوجه عديدة فمن المناسب إفراد فصل وجيز لكل منها

١ نقل الرسائل المعقدة

فلنفرض ان برج الحمام في باريس وان المُراد بعث الرسائل من مدينة ڤردون الى العاصمة . ففي هذه القرائن يُنقل الحمام الى ڤردون وتُربط الرسالة برجل الحمامة اليمنى فتُطلق وتطير كالبرق الخاطف الى برجها الباريسي بدون ادنى تردُّد في وجهة سيرها ولو نُقلت من العاصمة الى ڤردون في صندوق مُغلق . اما الرسائل المبعوثة من باريس الى ڤردون فيحملها حمامٌ برجُهُ في المدينة الاخيرة وقد نُقل من الاولى اليها وقس على ذلك في بقية الاحوال

فسبحان الخلّاق العظيم القدير الذي منح ذلك الطير الداجن غريزةً حيّرت منذ القدم ألباب العلماء . ولم يستطع العلم العصري رغماً من فتوحاته العجيبة ان يجهّز سفنهُ وطيّاراته بآلة تُجاري تلك الغريزة في حسن تأدية وظيفتها الخطيرة

ولكل حمامة حربيَّة بريديَّة عددٌ خاصٌ محفور على خاتم من الالومينيوم يحيط برجلها اليسرى . وبازائه تاريخ ميلادها واشارةٌ مميَّزة لبرجها . ولئلا تضيع تلك العلامات المفيدة تراها مجدَّدةً على احدى الريشات الكبرى للجناح الايمن مع زيادة حرف يدلّ على جنس الطير الذكر او الانثى . ثم يُشار الى المركز الحربي الذي جُعل الحمام في خدمته بلونٍ معلوم يُصبغ به رأسه او كتفهُ . اخيراً يُعرف الخطّ البريدي من لون خاتم ثانٍ من مادة السِلُولوئيد مُحدق خلافاً للاول بالرجل اليمنى

اما الرسائل فانها تُبعث على شكل صور شمسيَّة او بهيئة مخطوطات واليك بيان ذلك . ففي الطريقة الفوتغرافية تُرسل جليدةٌ سليَّة طولها نحو خمسة سنتيمترات في عرض اربعة فتظهر فيها الكتابة بيضاء في محيط اسود . ومن اللازم طلاؤها

١) اطلب ما كتبهُ الاديب ميشال افندي سماحة عن حمام الزاجل ووصفهِ في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٨٢٥-٨٢٨) وتجد هناك صورتهُ

بالكلوديون (collodion) لحفظها سالمةً من الرطوبة . ومتى بلغ بها الحمام المحلّ المقصود تُنشر فيه على صفيحة زجاجيّة وتُقرأ اما بنظارة مكبّرة او بتكبير الصورة على حاجز من النسيج بواسطة آلة شبيهة بالسينما

امّا الرسائل المخطوطة فتُكتب على ورق مخصوص طوله ١١ سنتيمترًا في عرض ٧س ثم يُطوى ثلاث طيّات ويُلفّ لفًّا مضغوطاً على شكل اسطوانة بطول زهاء ٣٥ ميلمترًا ليس الّا

والرسائل كلها مخطوطةً كانت او فوتغرافيةً تودع في اسطوانة من الالومينيوم مربوطة برجل الحمام اليمنى(١ · على ان هذه الطريقة تعرّض الرسائل لنظّارات العدوّ . ولذلك يُعدَل عنها في غالب الاحيان الى جعل الكتابات في داخل ريشة إوزّ يسهل اخفاؤها بين ريش زِمكّى الطير اي ذنبه

التصوير الشمسي

لعمري ان من فنون الاختراع العصري لسحرًا ! فمن كان يرجّم إمكان استخدام حمام الزاجل لأخذ صوَر شمسيّة من اعالي الجوّ بينما الطير ينهب الفضاء ؟ قد صنع هذه المعجزة مرةً اولى من نحو خمس عشرة سنة الدكتور نُيبْرُونّر (Neubronner) بقصد الحصول على صور بعض الجهات التي يقطعها الحمام في شرطه . ولمّا كان ابتكارهُ كثير الجدوى في العمليات الحربيّة نال من حكومة وطنه الالماني مددًا ماليًا تمكّن به من مواصلة تجاربه · فأسفرت عن اختراع جهاز فوتغرافي لا يزيد وزنه عن خمسة وسبعين غراماً ويوسعه ان يأخذ في اثناء الطيران عدّة صور بغاية الوضوح

ومن العجب العجاب ان الدكتور نيبرونّر ابتكر واسطةً بسيطة تمكّن الجهاز المذكور من رسم صور الحصون ومستودعات الذخائر وما شاكلها من الابنية الحربية في حين مروره من فوقها · امّا الواسطة لبلوغ ذلك المأرب الشيّع فبسيطة وهي عبارة عن ظرف من الكاوتشوك بشكل كُمْثرى يُفرغ شيئاً فشيئاً اثناء الطيران موزونة من الهواء · ومتى كمل الفراغ تحركت احدى ادوات الجهاز الفوتغرافي وأُنفذت

١) يُروى عن ملوك الدول الشرقية انهم كانوا يودعون رسائل حمام الزاجل في عُلَب ذهبية معلقة بعنق الطير ومفتاحها شديد الدقة . وكان الخليفة مستخصًا بنفسه فتح تلك العلب

الصورة المطلوبة . من البديهي انه يجب حساب معدل سرعة الحمام (١ والمسافة بين محلّ انطلاقه والعمارة المراد تصويرها وسرعة تفريغ الهواء من ظرف الكاوتشوك بحيث يتمّ هذا التفريغ عند تحليق الطائر فوق محل التصوير . كل هذه الحسابات هي من الغرابة بمكان بصرف النظر عن غرابة جهاز فوتغرافي شديد الدقة والخفة في آن واحد

٣ حمام الزاجل والطيارون

كثيراً ما يحتاج الطيارون بعد معاينة مواقع العدو من علٍ الى ايقاف اركان جيشهم عليها . اجل ان في وسعهم استخدام التلغراف اللاسلكي لهذه الغاية على انه بغير مأمن من مباغتات اجهزة العدوّ اللاسلكية كما لا يخفى على المطلعين . اما ارسال الانباء على جناح حمام الزاجل فغير مشوب بتلك الشائبة . وان يكن اقلّ سرعةً فلا بأس بذلك لقصر البون الفاصل بين الطيارين والقوّاد في كثير من الاحوال . بيد ان اطلاق الحمام من الطيّارة في غضون طيرانها في طبقات الجو العالية كان من بضع سنوات يُعدّ من المستحيلات . كان الخبراء قد حاولوا قبل ذلك اطلاقها من المناطيد فخابت مساعيهم اذ كان الحمام المُفلت من سلّه يطير الى اعلى المنطاد ويستقر هناك شبه السلطان المتربع على عرشه فلا يرضى من مستقرّه حراكاً

عندئذٍ تذرع ارباب المناطيد بالحيلة الآتية . وهي ان يُدهوروا الحمام بغاية الشدة ورأسه متجه الى اسفل . فتى انحدر على هذا النمط وقطع نحو مائة وخمسين متراً ، وهو كالحجر الساقط ، ينشر جناحيه ويُباشر الطيران نحو برجهِ . على انه من العسير سلوك هذا المنهج في الطيارات نظراً الى ضيق المكان . ولذلك قد عدل القومندان الفرنسوي كورنو (Cornu) عن تلك الطريقة الى تركيز انبوب عمودي بطول نحو مترين وعرض كافٍ لمرور الحمام على احد جوانب الطيارة . فيكفي القاء الطير في داخل الانبوب ورأسه متجه الى تحت . فتى خرج منه وافاق من دواره بعد بضع ثوانٍ ينشر جناحيه ويتّجه نحو مركزه

---

١) انه يبلغ نحو عشرين متراً في الثانية أعني نحو ٧٢ كيلومتراً في الساعة وهي سرعة القطارات المعجلة (express)

٤ حمام الزاجل في الخنادق

معلومٌ من القاصي والداني ان الحرب العوان انتقلت في غد معركة المرن من المآزق الى الخنادق . فالتزم القوّاد مدّ مئات كيلومترات من اسلاك التلفون حول الخنادق ثم بينها وبين المواقع الحربيّة المجاورة . على ان مدافع العدو كثيراً ما كانت تجعل كلّ هذه المُدَد في حكم العدم ، وذلك لدى امسّ الحاجة اليها . عندئذ كان يُستعاض عنها بحمام الزاجل المحفوظ في غور الخنادق بسلالٍ مخصوصة . ومن الغريب انه كان حاملاً في كثير من الظروف على جناحه الرسالة المنبئة بمهاجمة العدوّ او تخريب الاسلاك التلفونية فمتى انفتح سجنه وافلت من سلّه ، بانفجار قنبلة مثلاً ، طار فوراً الى بيته الواقع بجوار القوّاد واطلعهم باقرب وسيلة على بيّنة امر مرؤوسيهم . ومن النادر ان يُصاب بقذائف الاعداء في غضون طيرانه وذلك بسبب شدّة سرعته وصغر حجمه

***

قد اشرنا في الصحائف السابقة الى بعض طرق استخدام حمام الزاجل في الحرب الكونية ولو فُسح لنا المجال لأتينا بازيادة للمستزيد . تلك الخدم الجليلة قام بها الحمام خير قيام في تلك الايام العصيبة ، وكان الطرفان المتعاديان شديدي الحرص على الاستئثار بها . منذ آب ١٩١٤ اي منذ دارت رحى الهيجاء وشنت الالمانية الغارة على بلجيكة طار كثير من الحمام الفرنسي الموجود في مدينتي لياج ونامور الى ابراجه بفرنسة حاملاً على جناحه انباء شديدة الخطورة ولاسيا بعد انقطاع العلائق التلغرافية والتلفونية في عدّة اصقاع . وقد بلغ حنق الالمان على حمام فرنسة مبلغاً فاحشاً فاعلنوا في البلاد المحتلّة انهم يحكمون بالاعدام على كل من يحفظ عنده تلك الطيور

ولم يكن وعيدهم تهديداً محضاً فانهم القوا القبض على نفر من الفرنسيين الالزاسيين ورموهم بالرصاص لنقضهم تلك الاوامر الصارمة . ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل ساموا مدينة أُستَنْد البلجيكية غرامة مليون فرنك لمجرد كونهم عثروا فيها على حمامة ذات مُرسَلة مربوطة برجلها ! ولمّا اكتشفوا في بلجيكة ابراجاً عديدة للحمام وضعوا يدهم عليها

على ان الالمان كانوا قبل اندلاع نيران الحرب في اتمّ الاهبة بخصوص حمام الزاجل الحربي. فمنذ كانون الثاني ١٩١٤ كانت بروسيّة تحصى بالعشرات بل بالمئات على طول الحدود الفاصلة بين بروسية والامبراطوريّة الروسيّة البائدة. ومنذ اوائل نيسان ١٩١٤ جعلت الحكومة عددًا طائلًا من هذه الطيور بين ايدي قوّاد فيالق المشاة والفرسان ولمّا عجزت الطيّارات البريدية الالمانيّة عن القيام بوظيفتها على تخوم پولونية بسبب معاكسة الطيّارين الروس ناب منابها الحمامُ فزالت كل العقبات في زمن يسير

لعمري من كان يتوقّع جليل خدم حمام الزاجل في الحروب العصرية فانّها نابت غير مرّة عن المواصلات التلغرافية والتلفونية السلكيّة واللاسلكية، هي حكمة الله تبارك وتعالى يُفسح لأوضع خلائقه محلًّا في حياة البشر لتتمّ سنّة التعاون المنتظم التي سنّها لخلقه

***

ولا يزعمنّ القارئ ان خِدَم حمام الزاجل تُنال بدون عناء او بيسير منهُ فالحقيقة وذلك الزعم الواهي لعلى طرفي نقيض! فانّ تثقيف تلك الطيور امرٌ عسير لا محيص عنه لانماء غريزتها الطبيعية. كما ان الطفل، وان ذكيَّ الفؤاد، مفتقرٌ الى عناية كثير من المهذبين والاساتذة بل الى عنائهم المتواصل ليبلغ أشُدَّه جسمًا وعقلًا

فلنضرب مثلًا بفرنسة: كان لوزارتها الحربية في ڤوجيرار (Vaugirard) من ضواحي باريس برج فسيح يأوي اليه في سني الحرب نحو خمسمائة من تلك الطيور. كل سقوفه وحيطانه والاوكار الجبسيّة مطليّة بالكلس وارضيّته مفروشة بالرمل الناعم ومغسولة غسلًا متواترًا. وكان بفرنسة ما خلا ابراج الدولة في ١٩١٣ زهاء مائة الف من حمام الزاجل وهي مِلْك الشركات او الافراد بيد انّ للحكومة حقّ الاستئثار بها طول وقت الحرب، فهي بازاء حمام الحكومة بمثابة الرديف بالنسبة الى بقيّة الجيش، فتأمل في تلك العناية الغريبة!

امّا تثقيف الحمام فبطيءٌ وصعب. فبادئ بدء يجول الطير جولات قصيرة بجوار برجه منطلقًا منه وآئبًا اليه من تلقاء نفسه. ثم ينقله شخصٌ ما الى مسافة خمسة كيلومترات ويُطلَق من هناك فيطير قافلًا الى نزله. وتُزاد المسافة يومًا فيومًا الى ان تبلغ بعد شهرين نحو ٣٠٠ كيلومترًا. فكل طائر تخور قواه دون تلك التجارب

الصارمة يُسقط من جدول الحمام الحربي فلا يبقى فيه سوى فحول الطيور . فكان عدد هؤلاء نحو مائة في برج فوجيرار اثناء ١٩١٣ . وهاك احدى مآثرهم الغرّاء :

في ٨ حزيران ١٩١٢ وُضع اربعون منها في سلة فنُقلت الى آجان (Agen) برفقة الفين من مجانسيها وهي ملك احدى الشركات . ثم أُطلقت كلها في آن واحد من آجان في اليوم التالي . فقفلَ الطيرُ الفائز في هذا السباق الى بيته في العاصمة بظرف سبع ساعات وسبع واربعين دقيقة قاطعاً مسافة نحو ٦٥٠ كيلومتراً ، بسرعة نحو ٨٤ كيلومتراً في الساعة ، بدون ادنى توقف اثناء شوطه العجيب . وفي اثناء الساعة التابعة لميعاد وصوله لحقه في باريس ثلاثة وعشرون من مُساكنيه بفوجيرار فيكون أبطأهم قد طار بسرعة نحو ٧٥ كيلومتراً في الساعة

فبفضل ذلك التثقيف وتلك السباقات اضحى الحمام يجتاز مسافة خمسمائة كيلومتر ونيّف كأنها جولةٌ حول برجه ! بل قد توصّل الخبراء بهذا الفن الغريب الى جعل الحمام يعود الى وكره في ذات الليل، بشرط الّا يكون حالكاً ، وذلك عن بعد نحو مائة كيلومتر

***

قد ذكرنا في الصحائف الاولى لهذه المقالة بعض مكايد الاسطول الانكليزي لمحق الغوّاصات الالمانيّة وتطرّقنا من ذلك البحث المحيّر للعقول الى وصف ضروب استخدام فرنسة حمام الزاجل لمعالجة بعض ما الفته الحرب من العراقيل في المواصلات البريدية وغيرها . ولئن ظهر لأول وهلة بونٌ شاسع بين البحثين فهما في عين المتبحر متجانسان قلباً ولو مختلفان قالباً . دليلُ ذلك انهما يكشفان لطالب لباب الحقائق دون قشرها ، ما وهب الالهُ العظيمُ العقلَ البشري من عجيب المقدرة على معالجة صعاب الامور ودرء اشدّ الاخطار بالوسائط السهلة الفعّالة . فليت الانسان يقابل سخاء مولاه بعدم استخدام تلك الموهبة السامية في غير سبيل العدل والرحمة ويا ليته لم يحد قيد شعرة عن تلك الجادّة القويمة الرضية اثناء سني الحرب العصية

اخبار الاخيار

بما وجد على القبور من الاشعار

جمع احمد بن خليل اللبودي

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

انَّ الفضلات المؤثرة التي أُثبتت في الشعر المنصرم لاكرام الموتى ذكَّرتنا بأثرٍ كتابي وجدناهُ في مكتبة دمشق المعروفة بالملك الظاهر فاستنسخناهُ لننشرهُ عند سنوح الفرصة. والاثر المذكور نبذةٌ وردت في احد مجاميع المكتبة المومأ اليها وهو الموسوم بالعدد الثامن من الادبيَّات المنظومة (1

فهذا المجموع يشتمل على ثلثة تآليف اوَّلها الذي روينا عنوانهُ « اخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار جمع احمد بن خليل اللبودي الدمشقيّ الشافعي » والكتاب مكتوب بخطهِ ومرتَّب على الحروف. والتأليف الثاني لهُ ايضاً بخطهِ عنوانهُ « النجوم الزواهر في معرفة الاواخر ». وفي التأليفين بياض كثير كأنَّ المؤلف اراد ان يزيد عليها فلم يتمَّها. أمَّا الكتاب الثالث فهو « احاديث مختلفة تخريجهُ لنفسهِ من مروياتهِ »

وقد سعينا جهدنا لنقف على شيءٍ من اخبار الكاتب وعهدهِ فلم نجد لاسمهِ ولكتابيهِ ذكرًا في ما لدينا من فهارس المخطوطات العربيَّة شرقًا وغربًا. وغاية ما حصلنا عليهِ ما ورد من ذكر كتابهِ في كشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ١٨٣-١٨٤) حيث قال : « كتاب اخبار الاخيار للشيخ ابي العبَّاس احمد بن خليل الصالحي وهو الذي اختصر ابن طولون منهُ تأليفهُ المسمى بغية الاخبار بما وُجد على القبور من الاشعار » فيُحصَل من قولهِ هذا انَّ المؤلف تقدَّم على زمن ابن طولون وهو محمَّد بن علي بن محمَّد بن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ (١٥٤٦م) فيكون من اهل القرن الثامن او التاسع للهجرة اي الرابع عشر او الخامس عشر للمسيح. ولا بأس انَّ في كتابهِ بياضًا كبيرًا لما في الباقي منهُ من الافادة. وقد ضربنا صفحًا عن ما ذكر المؤلف من الاسانيد لقلَّة اهميَّتها وسنشير بالارقام السود الى صفحات نسختنا التي نقلها لنا من الاصل الكاتب الاديب محمَّد افندي صادق فهمي في ٢٧ شوَّال سنة ١٣٢٩ ه (١٩١١م) وهذه النسخة مع كونها بخط المؤلف سقيمة مهملة الحروف كثيرة التصحيف تكرَّرت فيها بعض روياتها بحرفها الواحد فأصلحناها على قدر الاستطاعة

(1) اطلب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للكاتب الاديب حبيب افندي الزيَّات (ص ٨٥)

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استأثر بالبقاء ، وحكم على جميع وسائر خلقه بالفناء ، وجعل القبر روضةً من رياض الجنة السعداء ، واشهد انْ لا إله الا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والكبرياء ، واشهد انَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ سيّد الاصفياء (صلعم) ، وعلى آله النجباء صلاةً وسلاماً دائمين بدوام الارض والسماء .

امّا بعد ففي النظر الى القبور اعظمُ عبرةٍ لكل ذي عقل مستقيم ، وفي التفكّر في مصارع اهلها اصدعُ عظةٍ لكل (٣) قلبٍ سليمٍ ، وقد اشار (صلعم) الى ما في زيارتها من المآثر الفاخرة ، بقوله : «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكّر الآخرة» : وقيل لبعضهم : ما ابلغُ العظات ؟ قال : النظر الى محلة الاموات . ولله درُّ القائل :

كفى واعظاً بالقبر إن كنتَ ناسياً   لنفسكَ فاسهر في مكانك او نَم

وهذا تعليق فيما وُجد على القبور من الأشعار ، لم أرَ احدًا ممّن تقدّم حصل له بإقراره الإشعار ، ولعمري انَّ في الوقوف على ذلك إيقاظاً واعتبارًا ، وتنبيهاً للموفّق على عدم النظر الى هذه الدار ، وقد لقّبتُهُ « باخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار » ورتّبتُهُ على الحروف ، اتباعاً للعرف المألوف ، وعلى الله الكريم اعتمدُ ، ومن فيض كرمه استمدُّ ، فهو المولى الولي لكلّ جميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

حرف الالف

اخبرنا محمّد بن محمّد بن اقوش (كذا) مشافهةً عن الحافظ ابي بكر بن المحب (٤) . . .
عن عمر بن عبدالله قال : قرأتُ على قبرٍ بدمشق بباب الجابية (مجزوّ الخفيف) :

انتَ لا شكَّ ميّتٌ   فتهيَّأ لِما ترى
أنّما اللحدُ والثرى   جُعِلا منتهى البَلا

اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الاسحاقية في كتابها اليّ من حلب عن عمر ابن الحسن .... قال انبأنا ابو بكر ابن ابي الدنيا قال: كانَ على قبرٍ مكتوباً (مجزوّ الخفيف):

(٥) صرتُ بعد النعيم في منزلِ البُعد والقِلا
وجفاني احبّتي حيثُ غُيّبتُ في الثرى
أخلقَ الموتُ جِدَّتي ومحا حُسنيَ البِلى

حرف الباء

اخبرنا ابو العبّاس احمد بن علي بن السحام (؟) بقراءتي عليه بجامع دمشق عن محمّد بن احمد بن النحّاس .... قال أجمع اهل الحجاز واهل البصرة واهل الكوفة على انهم لم يسمعوا ببيتين احسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب رض (من الطويل):

(٦) مقيمٌ الى ان يبعث اللهُ خلقَهُ لقاؤكَ لا يُرجى وانت قريبُ
تزيدُ بِلًى في كلّ يومٍ وليلةٍ وتُنسى كما تَبلى وانت حبيبُ

اخبرتنا اسماء بنت عبدالله المهرانيّ مشافهة ...عن ابرهيم بن عمر قال: كتب الاشجعي (؟) الكوفيّ على قبر اخيه (طويل) :

بكائي طويلٌ والدموعُ غزيرةٌ وانتَ بعيدٌ والمزارُ قريبُ
نسيكَ مَن أمسى يناجيك طرفُهُ وليس لمن تحت الترابِ نسيبُ
غريبٌ واطرافُ البيوتِ تحوطُهُ ألا كلُّ من تحت الترابِ غريبُ

(٧) واخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيّة كتابةً ....عن ابي الصهباء قال: قرأتُ على قبرٍ بطرسوس ممّا يلي باب الجهاد مكتوباً (طويل) :

فارقتُ دنيايَ وصرتُ الى ربّي فيا ربِّ فاغفر ما تقدّم من ذنبي
أمرتَ باشياء ومن غيرها نهى فخالفتُهُ فيها واصبحتُ في كربِ

ورأيتُ في الكتاب الداعي الى وداع الدنيا لابي سعد بن اسمعيل بن علي المفتي انهُ وجد مكتوباً على قبرٍ (مجزوّ الرمل):

صرتُ رهناً في التراب بعد انسٍ واقترابِ
وجفاني اهلُ ودي لايأسٍ من ايابي

حرف الثاء

ورأيتُ بخطِّ بعضهم قرأ على صفيحةِ قبرٍ (٨) (وافر) :

ليعتبرِ الذين رأوا شبابي بانَّ الموتَ لم يكُ في حسابي
يزورُنيَ الحبيبُ فلا يراني ويدعوني فلا يرجو جوابي
تناساني الاحبَّةُ اذ رأوني رهينَ جنادلٍ تحت الترابِ
فمن يرَ مضجعي فليعتبرْني ولا يغترَّ بعدي بالشبابِ

ورأيتُ في بعض الجبانين قبرين متلاصقين مبنيَّين على هيئة واحدة فوجدتُ على احدهما مكتوباً (كامل) :

كنّا كزوج حمامةٍ في ايكةٍ متمتّعين بنعمةٍ وشبابِ
غدرَ الزمانُ بنا ففرّق بيننا انَّ الزمانَ مفرّقُ الاحبابِ

حرف التاء

روى ابو محمّد عبد الحقّ(٩) الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ قعد على قبرٍ مكتوب عليهِ (طويل) :

تناجيك اجداثٌ وهنَّ سكوتٌ وسكّانها تحت الترابِ خفوتُ
أيا جامع الدنيا لغير بلاغةٍ لمن تجمعُ الدنيا وانت تموتُ

وذكر صاحب بغية الملتمس ونفحة الاديب ومن خطّهِ نقلتُ انَّ ابا عبدالله محمّد اللوشيّ الشهير بابن الخطيب اوصى ان يُكتب على قبرهِ (المتقارب) :

بَعُدنا وان جاورتنا البيوتُ وجئنا بوعظٍ ونحنُ صموتُ
واصواتنا سكتتْ دفعةً كجهر الصلاةِ تلاها القنوتُ
وكنّا عظاماً فصرنا عظاماً وكنّا نقوتُ فها نحنُ قوتُ
وكنا شموسَ سماء العُلى غربنا فناحت علينا السُّموتُ

فقل للعِدى ذهبَ ابنُ الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوتُ
فمن كان يفرحُ منهم لهُ فقل يفرحِ اليومَ من لا يموتُ
سيبلى الجديدُ اذا ما المدى تتابع آحادُهُ والسبوتُ
فلا تغترر بسرابِ الحياةِ فانَّك عمَّا قريبٍ تموتُ

وذكر انَّ بعضهم قرأ على صفحة قبرٍ (١٠) (طويل):

ألا أيُّها الماشي على جنب حفرتي توقَّف قليلًا كي تَفهمَ قصّتي
رمتني المنايا اذ شبابي بزهرهِ طريًّا واذ ثوبي جديدٌ وحُلّتي
فلم تُخطِطني لمَّا رمتني سهامُها فأصبحتُ فيها بين نارٍ وجنّةٍ
ولي خالقٌ يمحو الذنوبَ بعفوهِ ويغفر لي مولاي ان شاء زلّتي

ووُجد على قبرٍ (المنسرح):

وكم لهيتُ بطيب عيشٍ دهرًا نسيتُ بهِ الوفاتا
والآنَ متُّ وعنك ايضًا لا بدَّ يومًا يقالُ ماتا
فجُدْ واحذرْ تكونَ مثلي كسبتُ حوبًا والخيرُ فاتا

(١١) روي عن عبد العزيز بن سليمان العابد قال: قرأتُ على قبرٍ بطريق الساحل (السريع):

ألحقنا الدهرُ بآبائنا وكلُّ من عاش فيومًا يموتْ

فسألتُ: لمن هذا القبر. فقالوا: لشيخ اتت عليهِ عشرون ومائة سنة ثمَّ مات فاوصى ان يُكتب هذا على قبرهِ.

وعن ابي جعفر القُرشي مولى بني هاشم قال: خرج رجل من بَلخرْث مارًّا الى مقابر البصرة فبينا يتخطَّاها اذ بصر بقبرٍ عليهِ مكتوب (بسيط):

يا غافلَ القلب عن ذكر المنيَّاتِ عمَّا قليل ستأوي بين اموات
فاذكر محلَّك من قبل الحلول بهِ وتُبْ الى الله من لهوٍ ولذّاتِ
انَّ الحِمام لهُ وقتٌ الى أجلٍ فاذكرْ مصائب ايَّامٍ وساعاتِ
لا تطمئنَّ الى الدنيا وزينتها قد حان للموتِ يا ذا اللبِّ ان يأتي

وعن احمد بن محمد بن يحيى السكري قال: بلغني انهُ وُجد على حجر على قبر مكتوباً (سريع): (١٢):

وغافلٍ أُوذِنَ بالموتِ لم يأخذ العدّة للفوتِ
ان لم تزل نعمتُهُ قبلَهُ زال عن النعمة بالموتِ (١

(١٧) واخبرنا محمد بن محمد الصالحي مشافهة ... عن عمران بن عبدالله قال: قرأتُ على قبر بدمشق بباب الجابية بحمرة مكتوباً (مجزوء كامل):

كم قد وقفتُ كما وقفتـ م وكم قرأتُ كما قرأتـ
بل كم خُدعتُ وكم هلمتُ م وكم فزعتُ من الفواتِ
انظر لنفسك يا اخي قبل التنغّص بالمماتِ
ولقد تموتُ وقد تفو تُ وقد تصيرُ الى رُفاتِ

(١٨) وفي كتاب الداعي الى وداع الدنيا عن عبد الملك بن محمد قال: مكتوبٌ على مقبرة ابن عباس (طويل):

وكانت على الأيام نفسي عزيزةً فلمّا رأت صبري على الذلّ ذلّتِ
فقلتُ لها يا نفسِ موتي كريمةً فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّتِ

وذكر الامام ابو الفتح ابن رجب في كتاب اهوال القبور انهُ قرأ على قبر (مجزوء الكامل):

ولقد وقفتُ كما وقفتَ م ولقد نظرتُ فما اعتبرتُ
حصّل لنفسك منزلاً قبل الحصولِ كما حصلتُ

ووجدت بخط قديم ما لفظهُ قال الشيباني: وُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل):

ملَّ الاحبّةُ زورتي فجفيتُ وسكنتُ في دار البِلى فنُسيتُ
الحيُّ يكذبُ لا صديقَ لميّتٍ لو كان يصدقُ ماتَ حين يموتُ

ووُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل) (١٩):

١) هنا بالاصل قد أُعيدت الصفحات الاربع السابقة بحرفها فلم نجد حاجةً للتكرار

يا موتَ مَنْ سكن البلى وبقيتُ   لو كنتُ اصدُقُ اذ بَليتَ بَليتُ
لو كان يَغنى للبكاء مفجّعٌ   من طول ما ابكي لكنتُ غنيتُ

حرف الحاء

(٢٠) اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيةُ كتابةً باسنادها الى ابي بكر عبدالله بن محمّد القرشي قال: قرأتُ على قبرٍ بالأُبلّة (سريع):

الموتُ بحرٌ غالبٌ موجُهُ   تضلُّ فيهِ حيلةُ السابحِ
يا نفسِ اني قائلٌ فاسمعي   مقالةً من مشفقٍ ناصحِ
ما يصحبُ الانسانُ في قبرهِ   مثلُ التقى والعملِ الصالحِ

وبهِ اليهِ قال: سمعتُ بعض اصحابنا قال قرأتُ على قبرٍ بالبصرة (طويل):

لـئن كنتُ لهوًا للعيونِ وقرّةً   لقد صرتُ سقماً للقلوبِ الصحائحِ
وهوّن وجدي ان يؤجّل مدركي   واني غداً من اهل تلك الضرائحِ

حرف الدال

اخبر ابو العبّاس احمد بن الحسن المقدسي مشافهةً عن الصلاح محمّد بن احمد المقدسيّ (٢٠) . . . عن ابي عبدالله محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين الواسطي قال: رأيتُ على قبر يعقوب بن الليث وعلى اربع جوانبه مكتوباً (طويل):

فـقل للعُداة الشامتين بموتنـا   أفي ظنّكم ان سوف تبقون خُلّدا
فان شمتَ الاعداء يوماً بموتنـا   فانّ المنايا قد أتينَ محمّدا

وأُخبرنا عن شيخ من ثقيف انهُ قال: وُجد في حفرةٍ بالحيرة حجرٌ منقول فيهِ مكتوب: انا عبد المسيح بن حيان بن بقيلة (وافر):

حلبتُ الدهرَ أشطرهُ حياتي   ونلتُ من المنى فوق المزيدِ
(٢١) وكافحتُ الامور وكافحتني   فلم اخضع لمعضلةٍ كـؤُودِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ الثريّا   ولكن لا سبيلَ الى الخلودِ

وحدّث غالب النجراني عن ابيهِ قال توفي رجلٌ في البحرين فاوصى ان يُكتب

على باب قصرهِ بعد موتهِ هذين البيتين وانا قرأتهما (كامل) :

طلبتُ العيش اغبــطُ ناعميهِ   وعشتُ من المعايش في الرغيدِ
فلم أتركْ وربّ البيت حتى   سُلبت من الاقاربِ والبعيــدِ

وحدّث محمّد بن الحسين قال: قرأتُ على قبرٍ في بعض الصحارى (المجتثّ) :

قبرٌ عزيزٌ علينــا   لو انَّ من فيهِ يُفدَى
اسكنتَ قرّةَ عيني   ومنيــةَ النفسِ لحدا
ما جارَ خلقٌ علينــا   ولا القضــاء تعــدّى
والصبرُ أزيَنُ ثوبٍ   بــهِ التــقيُّ تردّى

روي عن بعضهم قال: مررتُ ببعض البراري فــاذا انا بقصر مشيْد قد اناخت عليه الاهواء بكــلاكلها وقد تهدّمت اركانهُ ودثر بنيــانهُ واذا على بابهِ اسطر مكتوبة فتأملتها فاذا هي (البسيط) :

انظرْ الى غِيَرِ الأيام مــا صنعتْ   افنت اناساً بها كانوا وما تركتْ
أيامُهم ضحكت في وقت دولتهم   حتىٰ اذا انقرضت ناحت لهم وبكتْ

(قال) فدخلت القصر فاذا القبّة معلّقة على اربعة اعمدة وفي القبرِ قبرٌ مصفّح بالرصاص وقد علاهُ الغبار فنفضتُ عنهُ الغبار فاذا عليهِ مكتوب (مجتث) :

كم من كريمٍ عزيزٍ   وذي جمــالٍ وجــدِ
قد صار عظماً رميماً   في ظلمــة القبر مُردي
(٢٢) فالحمــد لله ربّي   قد صرتُ في القبر وحدي
قــد فرّق الموت بيني   وبيــن اهــلي وودّي
فلستُ اعرف شيئــاً   من امرِ ما كان بعــدي
وقــد خلوتُ بفعــلي   وسوف يُقضى بعهــدي
مستوحشاً ذا ذنوبٍ   خبطتُ فيهــا بجهــدي
استغفرُ الله ربّي   من خطائي وعمــدي
فاغفر أيا ربُّ ذنبي   فكل ذلــك عنــدي
انت المليكُ بفضــلٍ   فــأحيِّ اليومَ رشــدي

(٢٧) وروي عن ابي الحسن الازدي قال : قرأتُ على قبر بعض الكبريين. واسط (كامل) :

تفكّرْ كيف افنى الموتُ قومَ م الثمود وقوم فرعونٍ وعادا
وسَلْ دار البلى كم قد ابادت ملوكاً طالما ركبوا الجيادا
وسل بيت الفنا كم من ملوكٍ عظيمٌ شأنهم صاروا رمادا

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبر ابي عامر بن شهيد (قال) وهو مدفون بازاء قبر صاحب ابي مروان الزجاجي وكأنهُ انما يخاطبهُ ودفنا في بستان كانا كثيرًا ما يجتمعان فيهِ (منسرح) :

يا صاحبي قُمْ فقد أطلنا أنحنُ طولَ المدى هجودُ
فقال لي لن نقومَ منها ما دام من فوقنا الصعيدُ
تذكّرْنَ كم ليلةٍ نعمنا في ظلّها والزمانُ عيدُ
وكم سرورٍ يهمي علينا سحابةٌ ثرّةٌ تجودُ
كلٌّ كأن لم يكن تقضّى وشؤمهُ حاضرٌ عتيدُ
حصّلهُ كاتبٌ حفيظٌ وضمّهُ صادقٌ شهيدُ
يا حسرتاهُ ان لم تنلنا نعماهُ انّ بطشهُ شديدُ
يا ربِّ عفوًا فانت ربٌّ قصّر في حقّهِ العبيدُ

وذكر فيه ايضاً انهُ وجد على قبر بطليطلة قديم اذ كانت للمسلمين (وافر) :

كأنك قد رحلتَ عن المباني ووارتْكَ الجنادلُ والصعيدُ
وناداك الحبيبُ فلم تجبهُ وقربكَ منهُ في الدنيا بعيدُ
(٢٨)واصبحَ مالُكَ المجموع نهباً وعُطّل بعدكَ القصرُ المَشيدُ
وصار بنوك ايتاماً صغارًا وعانقَ عرسَكَ البعلُ الجديدُ
واكثر منهُ انك لستَ تدري شقيٌّ انت ام دومًا سعيدُ

(٢٩) واخبر علماء حمير قالوا: لمّا هلك شدّاد بن عاد ملك بعدهُ ابنهُ وقد كان ابوهُ خلّفهُ بحضرموت على ملكهِ وسلطانهِ فسار بجمل ابيهِ الى حضرموت وهناك حُفرت لهُ حفيرة في مغارة فاستودعهُ فيها على سرير من ذهب والقى عليهِ سبعين حلّة

منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه (مجزوّ الرمل) :

اعتبِرْ بي أيها المغرو رُ بالعمر المديدِ
انا شدّادُ ابن عادٍ صاحب الحصن العميدِ
واخو القوّةِ والبأ ساء والملك الحشيدِ
دان اهلُ الارض لي من خوف وعدي ووعيدي
وملكتُ الشرق والغر بَ بسلطانٍ شديدِ
وبفضل الملك والعُدْ دةِ والجيش العديدِ
فأتى هودٌ وكنّا في ضلالٍ قبل هودِ
(٣٠) فدعانا لو قبلنا هُ الى الامر الرشيدِ
فعصيناهُ وناديتُ م ألا هل من محيدِ
فأتتنا صَيحةٌ تهوي م من الافق البعيدِ
فتوافينا كزرعٍ وسط بيداء حصيدِ

(٣٢) ومما كُتب على مقبرة (البسيط) :

قف بالقبور ونادِ الهامدين بها من اعظمٍ بليَتْ فيها واجسادِ
قومٌ تقطّعت الاسبابُ بينهمُ بعد الوصالِ فصاروا تحت اطوادِ
والله لو بُعثوا يوماً ولو ذُكروا اذن للاقوا التُّقَى من افضل الزادِ

وروي انّ ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه اوصى ان يُكتب على قبره (منسرح) :

جنبي تجافى عن الوسادِ من حذَرِ الموتِ والمعادِ
مَن خافَ من سكرة المنايا لم يدرِ ما لذّةُ الرقادِ

ورأيت على قبر بدمشق مكتوباً بحفر (وافر) :

اذا كنتَ الكريمَ فلا أُبالي ولو بلغَتْ ذنوبي القطرَ عدّا
فكم من مذنبٍ في الحشر مثلي بجودك من لهيب النار عُدّى

(٣٣) حرف الراء

حدث رجل من بني عجل يكنى ابا بكر قال مررتُ في بعض مخاليف اليمن فاذا بقبرين عظيمين بينهما صخرة منقورة مكتوب عليها بحجر (سريع) :

هذان قبرا سيّدي حميَرٍ قد بليا في الترب تحت الثرى
اتاهما الموتُ بكرّاتهِ والموت يُفني كل شمخ الذرى

وحدث سيف الصنّاني قال : مررتُ على وادي حضرموت فاذا بقبر من قبور اولئك الاولين عليه مكتوب بالحميريّة فزبرتهُ فاذا عليه مكتوب (بسيط) :

انا ابنُ مَنْ عمَّر الدنيا ليسكنها فاخربت نفسهُ الاقدارُ والأجلُ

(٣٤) ويروى : الآجالُ والغِيَرُ . وحدث رجلٌ من بني ضبة قال : مررتُ بقبر في جبّانة نحو بيت المقدس فوقفتُ انظر اليه فاذا عليه مكتوب (رمل) :

أيها الواقف هونًا فاعتبرْ انَّ الموت في لشغلًا فاذّكرْ

وحدث عمرو بن الزبير قال قرأتُ على قبر في الجبانة مما يلي المهالبة عليه مكتوب (سريع) :

من أبصر القبر رأى عبرًا جنادلًا يُبلينَ وجهًا نَضِرًا

قال : فوالله ما ملكت نفسي فبكيتُ . وحدث محمد بن الحسين قال : قرأت على قبر في بعض الجبابين مكتوبًا (سريع) :

لم يبقَ للميّت في قبرهِ فَطرٌ ولا اضحى ولا عَشرُ
نأى عن الاهل على قربهِ كذاك مَنْ مسكنهُ القبرُ

وعنهُ ايضًا قال : قرأتُ على قبر في بعض الجبابين (مجزوء الرمل) :

ان يكن مات صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كان رَيحاني فصار م اليوم ريحانَ القبورِ
رُبَّ اغصانٍ مليحا تٍ بديعاتٍ بنورِ
غرسَتْها في بساتين م البلى ايدي الدهورِ

وعن ابي مدين محمد الجوهري قال : كان على قبر مكتوبًا (مجزوء الرمل) :

أيها الواقف بالقبر م عشاءً وسَحَرْ
انَّ في القبر عظاماً باليات وعِبَرْ

ومن بكر بن خزيمة السعدي قال: ماتت جارية آل المهلَّب فكتب على قبرها (طويل):

ألا أيها القبرُ الذي حلَّ لحدَهُ قصيرةُ عُمرٍ حبّذا انت يا قبرُ
فخيرٌ لها منّا الذي شاء موتَها وخيرٌ لنا منها المثوبةُ والاجرُ

ومن محمد بن احمد البجلي قال وُجد على قبرٍ عاديٍّ مكتوباً (مجزوء الكامل):

اصبرْ لدهرٍ نال منك م فهكذا مضت الدهورُ
فرحٌ وحزنٌ مرّةً لا الحزن دامَ ولا السرورُ

ومن ابن ابي الدنيا قال: حدّثني ابو علي النجّار انهُ نقشَ على لوح قبرٍ (كامل):

يا أيها الميت المغيَّبُ في الثرى زرتَ القبورَ فما تُحسُّ وما ترى
لما نُقلتَ الى المقابر ميّتاً لم يبقَ دمعٌ جامدٌ الّا جرى
جاورتَ قوماً لا تواصُلَ بينهم ويفوتُ ضيفَهمُ الكرامة والقِرى

(٤١) واخرج ابو عليّ النجّار لوحاً نقشهُ لرجلٍ فجعلهُ في قبرِ بعض اهلهِ وكان عليهِ مكتوباً (طويل):

فكيفَ بقائي بعد إلفي وصاحبي ونفسيَ قد ذابت وماتَ سرورها
واني لآتي قبرهُ فكلّمهُ وان لم تُكلّمِ حفرةٌ مَن يزورها

قال: ودخل قومٌ قصراً قد خرب فاذا بفنائهِ قبرٌ وعلى بعض جهات القبر مكتوب (بسيط):

يا من يُطلّ باللذّاتِ مهجتهُ أما ترى قبرَ ربِّ القصر مهجورا

حدّث بعض البصريين قال: مرَّ صالح المرّي بقصرٍ خربٍ بفنائهِ قبران واسودُ جالس عندهما (٤٢) وعلى القبر مكتوب (بسيط):

يا أيها الركبُ سيروا اليومَ واعتبروا فعن قليلٍ تكونوا مثلنا عِبَرا

كنّا وكانت لنا الدنيا نلذُّ بها فما اعتبرنا وما كنّا لنزدجرا
حتى رمانا الردى منهُ بأسهمهِ فلم يُبقِ لنا عيناً ولا اثرا

وحدّث ابو الحسن مولى بني هاشم انهُ قرأ على حائط مقبرةٍ مكتوباً (رجز) :

يا أيها الواقفُ بالقبورِ بين أناسٍ غُيَّبٍ حضورِ
قد سكنوا في خربٍ مهجورِ بين الثرى وجندلِ الصخورِ
ينتظرون صيحة النشورِ لا تكُ من حظّكَ في غرورِ
تحلُّ في منزلنا الحقيرِ

(٤٣) وحدّث محمّد بن بشيرٍ قال: قُرئ على قبرٍ (بسيط) :

هذي منازلُ اقوامٍ عهدتُهم في ظلّ عيشٍ عجيبٍ ما لهُ خطرُ
صاحت بهم حادثاتُ الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

وحدّث الحسن بن موسى البصريّ قال : قرأتُ على قبرٍ بالبحرين (طويل) :

خليليَّ كم من ميّتٍ قد حضرتُهُ ولكنّني لم انتفع بحضوري
وكم من ليالٍ قد أرتني عجائباً بهنَّ وايّامٍ مضت وشهورِ
وكم من خطوبٍ قد عرتني كثيرةٍ وكم من امورٍ قد مضت وامورِ
ومن لم يؤدّبهُ الدهرُ ما عاش مرّةً فذاك الذي لا يستبينُ بنورِ

وذكر ابو سعد اسماعيل في كتاب الداعي الى وداع الدنيا انهُ وجد على قبر ابن لنكك (بسيط) :

فيَّ اعتبارٌ لمن اضحى أخا فكَرٍ كم يتبيَّنُ في الموتى من العِبَرِ
اذا مررتَ بقبري فاعتبر عظةً واعلم بانك تقفونا على الأثرِ

وفيهِ ايضاً عن عبد الملك بن محمّد قال: رأيتُ مكتوباً على قبرٍ (بسيط) :

أسكنتُ من كان في الاحشاء مسكنهُ بالرغم منّيَ بين التُرب والحجرِ
يا قبرُ ما فيك من دعجٍ ومن ورعٍ ومن حياءٍ ومن صونٍ ومن خفرِ
ان تمحُ يا قبرُ شيئاً من محاسنهِ لم يُمحَ عنهُ جميلُ الذكر والخبرِ

وفيهِ ايضاً عنهُ انهُ رأى مكتوباً على قبر (مجزوء الخفيف)(٤٥):

رحم اللهُ من رأى ... مصرع القبر فاعتبرْ
قد جُزينا بفعلنا ... وقُطِعنا عن البشرْ
بعد دَوْح القصور صر ... نا الى ظلمة الحُفَرْ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبر باليمن مكتوباً (منسرح):

كم من عظيمٍ مستودَعٍ جدثاً ... قد غاب عن ملكهِ وعن وَطَرِهْ
ازعجهُ الموتُ من دساكرهِ ... ومن فساطيطهِ ومن حُجَرِهْ
اذا ثوى في القبورِ ذو خطرٍ ... فَذَرْهُ فيها وانظرْ الى خَطَرِهْ

وذكر الحافظ ابو عبد الله الذهبي في كتابهِ تاريخ الاسلام في ترجمة امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي انهُ اوصى ان يُكتَب على قبرهِ من شعرهِ (طويل):

سكنتُكِ يا دار الفناء مصدّقاً ... بأنّي الى دارِ البقاء اصيرُ
واعظمُ ما في الامر انّي صائرٌ ... الى عادلٍ في الحكم ليس يجورُ
فياليتَ شعري كيف القاهُ عندها ... وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
فان أكُ مجزيّاً بذنبي فانني ... بشرّ عقاب المذنبين جديرُ (٤٦)
وان يكُ عفوٌ منهُ عني فرحمةٌ ... فثمّ نعيمٌ دائمٌ وسرورُ

وذكر بعض المؤرخين ان ابا عليّ احمد بن بناء بن عليّ الزال اوصى أن يُكتب على قبرهِ (سريع):

يا خَيْرَ منزولٍ بهِ انّني ... ضيفٌ وحقُّ الضيف ان يُقرى
فاجعلْ قرايَ منكَ يا سيّدي ... غفران ما في صُحُفي يُقرا

واوصى بعضهم ان يكتب على قبرهِ (بسيط):

يا ربِّ جُدْ لي اذا ما ضمّني جَدَثي ... برحمةٍ منك تُنجيني من النارِ
أَحسن جواري اذا اصبحتُ جارَكَ في ... لحدي فانّك قد اوصيتَ بالجارِ

واوصى الشيخ ابو الحفص عُمَر بن الوردي ان يُكتب على قبرهِ (طويل):

ظنّوا بربّ العرش ما هو اهلهُ يا قاطعين لمن عصى بالنارِ
انا في يقيني انّ لي من حزبها حصناً يقيني وهو عفوُ الباري

(٤٧) ووُجد على قبر مكتوباً (طويل) :

أليسَ الى ذا صار آخرُ امرنا فلا كانت الدنيا القليلُ سرورُها
فلا تعجبي يا نفسِ ممّا ترينهُ فكلُّ امور الدهر هذا مصيرُها

وكتب عبدالله بن عائشة على قبر ولدٍ لهُ :

اذا ما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا اجاب البكا طوعاً ولم يُجبِ الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانّهُ سيبقى عليك الحزنُ ما بقيَ الدهرُ

ومرَّ بعضهم بالقبور فرأى في لوح مكتوباً (خفيف) :

أيها الماشي بين هذي القبورِ غافلاً عن حقيقة المقبورِ
أدنُ مني أُنبئك عنّي ولا يُنبيك اليومَ عني مثلُ خبيرُ
انا ميْتٌ كما تراني طريحٌ بين اطباقِ رُجمةٍ وصخورِ
(٤٨) انا في بيت غربةٍ وانفرادٍ مع قربي من جيرتي وعشيري
ليس لي مونسٌ به غير سعي من صلاح سعيتُهُ او فجورِ
وكذا انتَ فاتّعظ بي والّا فعذيري منك الغداة عذيري

وقرأتُ في بعض الكتب انَّ إساف بن عمرو الجرهمي ملك جرهم فجر بنائلة في الكعبة فسخهما الله حجرين ثمَّ وُجدا في جبال مكة تحت الارض وعندهما لوح من رخام فيه مكتوب (خفيف) :

انا مأوى الفخارِ سافُ بنُ عمرو وربيعُ الانام في كل عصرِ
كنت من جرهم أُعدُّ رئيساً واذا ما أمرتُ فالامرُ امري
كان حكمي عليهم وعلى من حجَّ ذا البيتَ في البريّة يَجري
فهويتُ التي ترون امامي فتبطّنتُها على غيرِ مُهرِ
من يراني فليتّعظ بمصيري يوم موتي ولا يشكّ بقهري

حرف السين

(٤٩) اخبر عليّ بن الحسين الواسطي قال : رأيتُ قبر يعقوب ابن الليث فاذا مكتوب على احد جوانبه (طويل) :

ملكتُ خراساناً وأكنافَ فارسٍ وما كنتُ من ملكِ العراقِ بآيسِ
سلامٌ على الدنيا وطيب نسيمها كأن لم يكن يعقوبُ فيها بجالسِ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد مكتوباً على باب مقبرة (طويل) :

سلامٌ على اهل القبور الدوارسِ كأنهمُ لم يجلسوا في المجالسِ
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ولم يأكلوا من كلّ رَطْبٍ ويابسِ
ولم يكُ منهم في الحياة منافسٌ طويلُ المنى فيها كثيرُ الوساوسِ
(٥٠) ألا ليت شعري اين قبرُ ذليلكم وقبرُ العزيز الشامخ المتكاوسِ
لقد أودعوا في جانبِ اللحدِ واحداً فما هُم من بين راجٍ وآيسِ
ولو عقل المرء المنافس في الذي تركتم من الدنيا لهُ لم ينافسِ

وفيهِ ايضاً انهُ وجد على قبرٍ (بسيط) :

انَّ الحبيبَ من الاحباب مختلَسُ لا يمنعُ الموتَ حجّابٌ ولا حرَسُ
فكيف يفرحُ بالدنيا ولذَّتها يا مَن عليهِ يُعَدُّ اللفظُ والنَّفَسُ
اصبحتَ يا غافلاً في النقص منغمساً وانت دهرَكَ في اللذّاتِ منغمسُ
لا يرحمُ الموتُ ذا جهلٍ لعزّتهِ ولا الذي كان منهُ العلمُ يُقتبَسُ
كم أخرسَ الموتُ في قبرٍ وقفتُ بهِ عن الجوابِ لساناً ما بهِ خَرَسُ
قد كان قصرُكَ معموراً بهِ شرَفٌ فقبرُكَ اليومَ في الاجداثِ مندرسُ

(٥١) اخبر مالك بن ضيغم الراسي قال قرأتُ على قبرٍ بالأُبلّة (بسيط) :

انا البعيدُ القريبُ الدارِ منظرُهُ بين الجنادلِ والاحجار مرموسُ

حرف النون

اخبر ابن ابي الدنيا في كتاب القبور قال : قرأتُ على قبرٍ في طريق الشام مكتوب عليهِ (بسيط) :

يا أيها الركب سيروا انّ قصدكمُ ان تُصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا
حثّوا المطايا وأرخوا من ازمّتها قبل الممات وقضّوا ما تقضّونا
كنّا اناساً كما كنتم فغيّرنا دهرٌ وقريباً كما صرنا تصيرونا

(٥٢) وروينا فيه ايضاً عن عمر بن عبد الله عن رجل قال : قرأتُ على قبرٍ مكتوباً (كامل) :

يا من يصير غداً الى دار البلى ويفارقُ الاحباب والخلّانا
انّ الاماكن ما هناك عزيزةٌ فاخترْ لنفسك ان عقلتَ مكانا

وروينا فيه ايضاً قال: ورأيتُ على قبرٍ مكتوباً (مجزوّ الرمل) :

انا في القبر وحيدُ قد تبرّأ الاهلُ منّي
اسلموني بذنوبي خبتُ ان لم تعفُ عنّي

وروينا في كتاب احياء علوم الدين للغزالي عن ابن السماك قال : مررتُ بالمقابر فاذا على قبرٍ مكتوب (وافر) :

يمرُّ اقاربي جَنَباتِ قبري كأنّ اقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي ولا يألون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامَهُمُ وعاشوا بوغدٍ لم يروا ان يذكروني

(٥٤) وروينا فيه ايضاً قال: ووُجد على قبرٍ مكتوباً (وافر) :

وقفتُ على الاحبّةِ حين زرتُ قبورَهُمُ كافراسِ الرهانِ
فلمّا ان بكيتُ وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني

وقال الاشبيلي في كتاب العاقبة : رأيتُ على قبر ابن حبيب باشبيلية في لوح رخامٍ مكتوباً (منسرح) :

عمّرتُ عشرين واثنتين في حالةٍ لم تقرّ عيني
أطيع دنيا رُفعتُ منها الى الذي آذنتْ بحيني
تركتُ في الحيّ اصفيائي وحيل ما بينهم وبيني
قد بنتُ عنهم اخرى الليالي ليس كبَيْن الحياة بَيْني
وسوف ينسونني وشيكاً من بعد خمسٍ مع اثنتين
ان كان دَين الوفاء دَيني فسرّني ان قضيتُ دَيني

وروينا فيه ايضاً انهُ وجد على قبر مكتوباً (مجزوء الرمل) :

انا مشغولٌ بذنبي من ذنوب العالمينا
وخطايا موبقاتٍ تركتْ قلبي حزينا
ولقد كنتُ ضئيلاً في عيون الناظرينا
صرتُ في ظلمة قبري خالياً فيها رهينا
في ثرى الارض وحيداً في بحور الهالكينا
وتركتُ الاهل والما ل لعمري والبنينا
ولقد عمّرتُ دهراً بعد احقابٍ سنينا
(٥٥) في نعيمٍ وسرورٍ فوق وصفِ الواصفينا
وملكتُ الشرق والغر بَ وكان الملكُ فينا
وفتحتُ المُدن قهراً وغلبتُ الغالبينا
فاتى الموتُ علينا بعد هذا ففنينا
أيها المغرور بادرْ لثواب الصالحينا
كلُّ حيٍّ سوف يفنى غير محيي الميّتينا

وروينا في كتاب التبصرة لابن الجوزي انه قُرئ على قبر مكتوباً (بسيط) :

لا تركننْ الى الدنيا وبهجتها فانَّ اوطانها ليست بأوطانِ
عمّرتُ ستّين حولاً ثمَّ فاجأني حتمٌ من الموت يأتي كلَّ انسانِ
فما تزوّدتُ مما كنتُ اجمعُهُ واكدحُ الدهرَ فيه غيرَ اكفاني

وذكر ابو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب في كتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء انهُ روي على قبر (متقارب) :

تعزَّ فكم لك من أُسوةٍ تجرِّدُ عنك غليل الحَزَنْ
بموتِ النبيِّ وقتلِ الوصيِّ وذبحِ الحسينِ وسمِّ الحسَنْ

(٥٦) ورأيت على حائط تربةٍ مكتوباً (مجزوء الرمل) :

عابرَ الدربِ علينا رحمةٌ منكَ الينا
ما كنّا عوّدْنَهُ اليكم بل لكم عَوْدٌ الينا

(الى هنا ينتهي ما ورد في اصل الكتاب . ولله الحمد عوداً وبدءاً)

الوسائل لترقية اللغة العربية

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في عدد تموز الاخير من مجلة الهلال الاغرّ (ص ١٩١) انَّ السيّد عبدالله علي آل زايد من اهل البحرين عرض على الادباء ان يكتبوا مقالة في الموضوع الآتي • ما هي الوسائل التي من شأنها ترقية اللغة العربية لتضارع اللغات الحيَّة الراقية في وفائها بحاجات هذا العصر • وتبرَّع بمبلغ من المال كجائزة لأفضل مقالة في ذلك

ونحن مع إعراضنا عن الدخول في ميدان السباق ومجاراة فرسانه احببنا ان نكتب شيئاً في الموضوع المذكور في مجلتنا لما فيه من عظم الشأن لمستقبل لغتنا العزيزة

•

كلٌّ يعلم انَّ اللغة العربيَّة أُصيبت بضربة كادت تكون قاضية بفتح الاتراك للبلاد التي كانت فيها العربيَّة منتشرة زاهية في مصر والشام والعراق واطراف جزيرة العرب وبعد ان كانت تآليفها تُعدُّ بالالوف اخذت في التقهقر حتَّى انك لا تكاد تجد في القرون الاخيرة من المصنَّفات، الَّا النزر القليل الذي لا يُعبأ به

ومن غريب الاتفاق انَّ الذين احسُّوا بهذا الانحطاط وحاولوا استدراكهُ كانوا من النصارى في حلب اوَّلًا ثمَّ في لبنان كما تشهد عليه تآليفهم ومنشوراتهم في مطابع سبقوا الجميع الى انشائها في هذه الانحاء . وكان المرسلون من الفرنج يؤازرون النصارى في عملهم وينفخون فيهم روحهم للاصلاح والرقيّ . ثمَّ بادروا الى انشاء المدارس للناشئة فجعلوا العربيَّة في مقدَّمة دروسهم

على انَّ هذه النهضة لم تبلغ معظمها الَّا في اواسط القرن الماضي اذ نما العنصر الاوربي في جهات البلاد بالبعثات الاجنبيَّة التي قدمت الى سورية لتسعى بترويج غاياتها الدينيَّة . فكانت اللغة العربيَّة الوسيلة الوحيدة لتمتزج باهل الوطن فحاول المبشرون درسها واعتنوا بتعميمها بين تلامذتهم اولًا ثمَّ في العموم بواسطة تآليفهم ومطابعهم . فمذ ذاك الحين دخلت العربيَّة في طور جديد فنمت المدارس وتوفَّر عدد المتخرّجين فيها فما لبثوا انْ خدموا اوطانهم بتعزيز لغتهم فأنشأوا الأندية العلميَّة

وانقطعوا الى التآليف المفيدة وابرزوا الصحف والمجلات يباري بعضها بعضاً ويتنافسون في زيادة تحسينها

وبترقيع المطبوعات أنشئت المكاتب للمطالعة وجمعت في الخزائن المخطوطات النادرة التي نُشر منها قسم كبير حتى جارت المطبوعات الاوربيّة . وكان في الوقت ذاته قد أولع بالعربيّة قوم فضلاء من الاجانب يدعونهم المستشرقين خصّوا قسماً كبيراً من دروسهم باللغة العربيّة فاستخرجوا من زوايا النسيان عدداً عديداً من افضل تآليف العرب من تاريخ وجغرافية وأدب وعلوم شتى فلكيّة ورياضيّة وفنيّة لستفاد منها اهل الشرق وعظمت العربيّة في عينهم بعد نشر تلك الكنوز الادبيّة المطمورة في مدافنها . فكلّ ذلك جعل للغة العربيّة مقاماً رفيعاً بين اللغات كان يفتخر به ذووها وينشطون الى توسيع نطاقها . فازدهرت بحسن مساعيهم في المهجر في اميركة الشمالية والجنوبيّة حتى بلغت اليوم المنشورات العربيّة تنيف على الآلاف

*

لكنّ هناك مشاكل جديدة نجمت اليوم بتغيير احوال البلاد . خلعت الاقطار العربيّة النير التركي . أنشئت دول عربيّة . دخلت بعض الاصقاع في حكم الانتداب البريطاني او الفرنساوي وكلاهما في الغالب يحبّ ازدهار اللغة العربيّة ويصرف المال بيد سخية على مدارسها فيا تُرى أتبقى العربية على حالتها الحاضرة؟ ألا يمكن ان تزيد رقياً فتجاري لغات كبار الدول فتبلغ المبلغ الواجب . تضارع اللغات الحية الراقية في وفائها بحاجات هذا العصر . وبعبارة أخرى ألا تستطيع اللغة العربيّة ان تقوم بذاتها وتستقلّ بادواتها وتستنبط من نفسها المفردات والمركّبات التي بها تتناول معلومات ومكتشفات زماننا هذا

ذلك سؤال يحتاج الى عدّة مقدّمات اليها يستند الجواب المطلوب فنقول :

(اوّلا) لا شك انّ العربيّة تخالف كثيراً من اللغات الشرقيّة التي ظهرت في عالم الكون في الاعصار الخالية وازدهرت بين أمم عديدة ثم هرمت فاخنى عليها الدهر فماتت وقد قلنا في ذلك :

هي اللغاتُ ترى في سيرها عِبَرًا تبدو فتذكو لحين ثم تنكسفُ
كالنبت يبدو فتيلًا ثم يعقبهُ زهرٌ وطيبٌ ثمار ثم ينتصفُ

هذه سُنَّة الكون قد تحققت في معظم اللغات كالكلدانيَّة والفينيقيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة والحميريَّة والنبطيَّة لم يبقَ منها سوى بعض آثارها التي يستخرجها ارباب البحث من اعماق الارض او من زوايا النسيان فيدرسونها لا لإحيائها بل رغبةً في الوقوف على فوائدها التاريخية

وليست والحمد لله العربيَّة على هذا المنوال فانَّها لغة حيَّة يتكلم بها نحو ٩٠ مليوناً من البشر في قسم كبير من آسية وافريقية وكفى بذلك دليلاً على عظم شأنها وكثرة انتشارها

(ثانياً) انَّ حياة اللغات كحياة الانسان تقوم بالحركة والنمو والتفرُّع . والعربيَّة لا يمكنها ان تشذَّ عن هذه القاعدة والَّا عُدَّت ميتة محنطة وهذا لا يرضى به احد

(ثالثاً) تقوم حركة اللغات ونموُّها بالاستعمال . والاستعمال امَّا كتابي وامَّا شفاهي فالكتابي يشتمل على كل ما ورد في المصنفات القديمة شعراً او نثراً مباشرةً بما نُقل عن اهل الجاهلية فاوَّل الاسلام حتى عهدنا الحاضر ممَّا وضعهُ ائمة اللغة وكتبهُ الادباء ذوو الذوق السليم . واما الشفاهي فالدخيل والعامّي الذي يُروى عن الناطقين بالضاد من اهل البادية وغيرهم ودوَّنهُ عنهم الكتبة

(رابعاً) واخصُّ الاستعمال ما ينطق به اهل العصر في معاملاتهم اليوميَّة وما تبادر الى لسانهم من الالفاظ المفردة والمركَّبة ليوضحوا عن افكارهم ويعربوا عمَّا يرون من الامور الجارية العلميَّة والادبيَّة والاقتصاديَّة والفنيَّة وكثيرٌ منها لا يعرفهُ غيرهم . وربَّما أدَّت بهم طبيعتهم الغريزيَّة الى تراكيب سهلة وسلسة افضل من بعض التراكيب اللغويَّة التي تثقل على لسانهم قواعدها فيضربونها عرض الحائط

***

فاذا ثبتت هذه المقدَّمات خطونا الى موضوع البحث فنقول : لا ننكر انَّ لغتنا العربيَّة واسعة الارجاء غنيَّة الموادّ لها في صيغها العديدة من الاسماء والافعال مجال واسع لزيادة قواها وسدّ خللها وتأدية المعاني المبتكرة والتصوّرات المستحدثة . على انَّ هذه الخواصّ لا يمكنها ان تفي بالمقصود فتعارض لغات الدول الاوربيَّة الَّا بشروط يتَّفق عليها ارباب اللغة وها نحن نعدّدها كما تخطر على بالنا :

١ مجمع علمي

﴿اولاً﴾ لا بدّ قبل كلّ ان يُنشأ مجمع علميّ عام تعترف بمقامهِ الرسميّ البلاد التي يتكلّم اهلها بالعربيّة فيُرسل ملوكها او زعماؤها على ذمّتهم مَن يمثّل في اقطارها . ويكون للمجمع موارد كافية لسدّ نفقاتهِ وترويج اعمالهِ ونشر مطبوعاتهِ . ثم يجري اعضاؤهُ على نظام معلوم تحت ادارة رئيس وكاتب اسرار ومستشارين مع عدد من المراسلين في الانحاء المختلفة

٢ نشرة لغوية رسمية

﴿ثانياً﴾ ويقتضي للمجمع المذكور نشرةٌ رسميّة تُعرض فيها اعمالهُ وتقيَّد ابحاثهُ في امور اللغة وتعزيزها وتنقيحها وتُروى ما يأتيها من الملحوظات والانتقادات والفوائد من مراسليها وغيرهم من الأُدباء

٣ قاموس رسمي للغة العربية

﴿ثالثاً﴾ ومن اخصّ واجبات هذا المجمع ان يسعى بنشر قاموس شامل رسمي للغة العربية يُبنى على ما لدينا من تآليفها المخطوطة والمطبوعة مع الاشارة الى مظانّها . ولا بُدّ ان يُقسم شغلٌ مثل هذا بين لجانٍ خاصّة لكلّ لجنةٍ شطرُها من العمل . ولا تقلّ هذه اللجان عن الاربع تُعنى الاولى بجمع مفردات اللغة الواردة في أقدم الآثار العربيّة منذ عهد الجاهليّة الى مبادئ الاسلام . والثانية تقصر نظرها على آثار العرب في اوّل الاسلام الى ظهور الدولة العباسيّة مباشرةً بالفاظ القرآن والحديث مع بقايا الشعراء المخضرمين . ويُعهد الى الثالثة مراجعة التآليف التي ظهرت نظماً ونثراً في الطور العبّاسي وتعيين الخصائص اللغويّة والمفردات العلميّة التي شاعت في عهد بني عبّاس في بغداد وفي مصر وجزيرة العرب والمغرب والاندلس . امّا الرابعة فتكون حصّتها القرون المتأخرة من زمن السلجوقيين ومبادئ الدولة التركيّة الى الزمن الحاضر . فتُعدّ كلّ لجنةٍ معجماً لطورها . فاذا نجز العمل تمزج هذه المعاجم مزجاً منظّماً في قاموس واحد يحيط بها جميعاً ويوقف الباحث لأوّل وهلة على كلّ مادّة يطلبها كما ترى مثلاً في معجم الاكادمية الفرنسويّة الذي عليهِ معوّل الكتبة في تآليفهم

٤ تمحيص الدخيل

﴿رابعاً﴾ وعلى المجمع المذكور ان يستقرئ الالفاظ الدخيلة قديمة كانت او حديثة فيختار الأنوس منها ويثبتها في منشوراته الرسمية مع التدقيق في تعريف معناها

٥ انتقاد المعرب

﴿خامساً﴾ ومثلها المعرَّب عن اللغات الاجنبية كالرومية والسريانية والفارسية والحبشية والعبرانية فينشر جدولها ويقرّر اصلها ويدقّق في بيان معانيها فيستعين لذلك بما كتبه المستشرقون

٦ تعريب مفردات اصطلاحية للعلوم العصرية

﴿سادساً﴾ ولا مناص لاهل المجمع المذكور ان يهتمّوا اهتماماً عظيماً بتعريب كثير من الالفاظ العلمية التي وضعها الاوربيون للاكتشافات الحديثة في كافة فروع المعارف البشرية كالفلسفة والطبيعيات والكيميا والطب والفلك وطبقات الارض والمعادن والنبات والفنون والصنائع وغير ذلك فيفحصوها ويتبيّنوا كُنْهَ معناها فان وجدوا في العربية ما يؤدّي ذلك المعنى قرّروه في نشرتهم الرسمية او اصطلحوا على كلمة مجازية تدلُّ عليه وان لم يجدوا عمدوا الى اللفظة الاجنبية فيتّفقون على استعمالها بلفظها او ببعض تحريفها على صورة مقبولة ليأنس بها الكتبة والمتكلمون كما فعل الاتراك بمعجمهم الكبير وكما فعل النقلة في تعريب كتب الاقدمين كحنين وماسويه وابن بيطار وابن جزلة وغيرهم

٧ مراقبة استعمال المتكلمين

﴿سابعاً﴾ وفوق كل يجب على المجمع ان يراقب لهجات المتكلمين وما يدور على لسانهم من التراكيب والتعبير عن افكارهم بالفاظ راجت بينهم سواء نطقوا بها او حرّروها بكتاباتهم . فانَّ للاستعمال شأناً عظيماً عند جميع الامم في ضبط لغتهم وتحسينها وتنميتها . على انَّ كتبة العرب قد اهملوا هذا الباب وعدّوا اللهجات الدارجة غلطاً او لحناً واتّخذوها منزلة لغة غريبة لا علاقة لها مع اللغة العربية الكتابية ذات القواعد النحوية المفرغة في قالب لا يستطاع تغييره

والحق يقال ان ذلك اجحاف عظيم في حق لغتنا التي يجيادها عن استعمال العموم مشافهة او كتابة لكثير من المفردات التي يبتكرونها تسدّ في وجهها باباً واسعاً لتنمية موادها وتخريجها على صورة تضارع اللغات الاجنبية

ولو اعتبرت اللغات الاجنبيّة لوجدت مراعاتها الدائمة للاستعمال فاذا رأى اربابها ان كلمةً جديدةً راجت على لسان القوم واخذ الصحافيّون في استعمالها فحصوها في جلساتهم الرسميَّة وصدَّقوا عليها اذا وجدوها رشيقةً حسنة الصورة وافية الدلالة فادرجوها في القاموس الرسميّ الكبير. ومثل ذلك بعض التراكيب الجديدة والجمل المستحدثة فتارةً يقرّرون ما تستجدّ منها وتارة يُلغون ما عُتّق منها وأُميت . والقاعدة في كلّ ذلك ما جعلوهُ بمثابة المثل حيث يقولون ان الاستعمال سُنّة قاضية (l'usage fait loi) وكان امام شعراء اللاتينيين هوراسيوس في قصيدته الشهيرة المعروفة بالصناعة الشعريَّة صرّح بما للاستعمال من النفوذ سواء كان في ابتكار الالفاظ او في الغائها فشبه المفردات اللغويّة باوراق الشجر التي تتساقط لبلوغها هَرَمَ حياتها فيقوم بدلًا منها اوراق جديدة نضرة تزهو وتُستحبُّ لجدَّتها ريثما تعتق فتُهمل لأن الاستعمال هو القاضي في ذلك ولديهِ الحكم الفصل في الكلام والحقّ في ضبطهِ (١

ولا يقولنّ احد انّ في الاستعمال ضرراً على اللغة تفتقد اللغة ثوبها الفاخر الذي ورثتهُ من الاجداد فالجواب على ذلك انّها تلبس عوضاً عنهُ ثوباً قشيباً مرافقاً للزي العصري. كما تختلف الازياء فيقوم الجديد منها بعد نزع العتيق

ولنا مثال في ذات لغتنا العربية التي بنت اشياء كثيرة من احكامها على السماع فهذه المصادر الثلاثيّة وهذه الجموع المكسّرة والصيغ المشبّهة واسماء الآلات فانها كلّها سماعيةٌ . وكم ادّعى النحويّون واللغويّون من الدّعيات فقرّروها في كتبهم وهي تخالف الحقيقة . فانّ المرحوم الكاهن اللغويّ البارع الاب خليل مرتا فند في الشرق

(١ هذه ابياتهُ الباهرة في ذلك (70-73 ... 60-63) Horace, *ad Pisones*

Ut silvæ foliis prorsus mutantur in annos ;
Prima cadunt : ita verborum vetus interit ætas,
Et, juvenum ritu florent modo nata, vigentque ....
Multa renascuntur quæ jam cecidere; cadentque
Quæ nunc sunt in honore vocabula, si volet usus,
Quem penes arbitrium est et jus et norma loquendi.

٢) [١٨٩٩] : ٩٧٧–٩٨٦) آراء ائمة اللغويين في زعمهم ان «أفعـال» لا تأتي جمعاً على «فَعْل» الَّا» نادراً في ثلثة الفاظ» فاورد» نيفاً ومائتين وعشرين لفظةً من وزن فَعْل تُجمع على افعال» . والكاتب المذكور مقالات شائقة في سنتي المشرق الثامنة والتاسعة زيَّف فيها عدةَ مزاعم للنحويين وبنى قوله على ادلَّة راهنـة من الاستعمال واثبتهُ بآراء ائمة اللغويين . وعلى مثالهِ جرى الشيخ المرحوم طاهر خيرالله الشويري في رسائلهِ اللغويَّة كرسالتي «المفضَّلة وجيد»

وكم حاول البعض تخطئة ما وسموهُ بسمة الاغلاط فقام غيرهم وابطلوا مزاعمهم . هذا صاحب المقامات والعلَّامة الكبير الحريري الذي يغني اسمهُ عن وصفهِ جمَع في كتابهِ درَّة الغوَّاص في اوهام الخواصّ نيفاً ومئتي عبارة زعم أنَّها من الاوهام التي تشين الذوات فتولَّى اصلاحها . لكن قاضي القضاة احمد شهاب الدين الخفاجي ردَّ على الحريري وبيَّن صحَّة كثير منها وانْ لا غبار عليها . وهذا شيخنا ابراهيم اليازجي نشر في مجلَّتهِ الضياء فصولاً متابعة تحت عنوان لغة الجرائد روى فيها نحو ٣٠٠ مفرداً او مركَّباً جمعها من الجرائد وادَّعى انها اغلاط تفسد اللغة وتشوّه بهاءها فتصدَّى له غيرهُ من العلماء كالامير شكيب ارسلان والمرحوم رشيد الشرتوني وغيرهما واثبتوا انَّ عدداً عديداً من تلك الاغلاط المزعومة لها في اللغة وجهٌ صحيح وأتوا على قولهم بالبرهان فسكت الشيخ عن ردودهم التي اوردناها في سنوات المشرق الثانية (ص١٠٦٥) والثالثة (ص١٢٣) والخامسة (ص ٣٢٢و٣٧٢و١٠٩و١٧٢) . وهكذا فعلنا عند انتقاده على كتاباتنا في المشرق

وقد ألَّف غيرهُ تآليف من هذا الصنف كنامة الكتّاب ومناهج الصواب وردّ الشارد الى طريق القواعد ونحن مع شكرنا لمثل هؤلاء المتصرين للغتنا نرى في بعض مزاعمهم تضييقاً زائداً على الكتبة فيأخذون بخناقهم لبناء حكمهم على القديم المزبور في كتب بعض النحويين دون مراعاتهم تلبية الحسن . فنحيلهم الى فصل مستجاد كتبهُ آخراً في المشرق في عدد حزيران (ص ٤٩٥–٥٠٠) جناب الشيخ والدكتور امين الجميّل وفيه ما فيه من الآراء الصائبة والاحكام المتدلة

وكلٌّ يعلم انَّ الكتبة العرب في القرون الوسطى عدلوا في تأدية افكارهم والدلالة على مستحدثات مدنيَّتهم الى ما دعوهُ بالمولَّد فجروا عليه في منثورهم

ومنظومهم ونطقوا بالفاظ وتراكيب لم يعرفها عرب الجاهلية واوّل الاسلام ولا تثريب عليهم . فكيف يُريد بعض المتهوّسين ان يضيّقوا على المحدثين ويحولوا بينهم وبين انوار العصر صيانةً لكرامة الاقدمين . فان كان لكلٍّ مقام مقال فلكل زمان ايضاً كلام واستعمال

ولنا أُسوة في القرآن نفسهِ « العربي المبين » الذي لم يأنف من استعمال عدَّة لغات غير لغة قريش بلَّغها ابو بكر الواسطيّ في كتابهِ الارشاد خمسين لغةً . وللسيوطي في كتاب الاتقان في تفسير القرآن (١ : ١٦٥—١٦٧) فصل حسن في هذا الشأن عنوانهُ « فيما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز » فلِمَ لا يجوز بعد ذلك ان يستعير الكاتب العصري شيئاً من لغات الاجانب من تشابيه وتعابير سهلة قريبة المنال يُغني بها لغتنا العربية

وكذلك المعرَّب فان للسيوطي كتاباً دعاهُ « المهذَّب فيما وقع في القران بغير لغة العرب » اختصرهُ في كتاب الاتقان(١ : ١٦٧—١٦٩) فسلَّم مع غيره بما وقع فيه من لغة الروم والفرس والسريان والنبط والعبرانيين والحبشة.. وعلَّل ذلك سعيد بن جبير ووهب بن منبّه بقولهما انهُ «وقعت فيه الاشارة الى انواع اللغات والالسن . . . فاختير لهُ من كلّ لغة اعذبها واخفّها واكثرها استعمالًا للعرب» . فما لبعض كتبتنا يجهدون نفسهم ليستخرجوا من اللغة العربيَّة الفاظاً مجهولةً غريبة ولهم ندحة في استعمالها معرَّبةً ظاهرة المعنى وربّما كان المعرَّب افصح ممّا وجدوهُ عربيّاً اذا رُوعي في اللفظ المعرَّب الخلوص من التنافر بحيث لا يعسر النطق بهِ

فترى إنَّ باب الاستعمال واسعٌ لو التجأ اليه الكتبة تحت نظارة مجمع علميّ ذي بصيرة صائبة وانتقاد معتدل امكنهم أن يُغنوا لغتنا العربيَّة ويجعلوها مضارعة للغات الاجنبيَّة جديرة بتأدية المعلومات المستحدثة

٨ العامي الحديث

(ثامناً) العامّي ما ينطق بهِ العامَّة وشاع على لسانهم دون الادباء. فانَّ للعامَّة لغةً خاصَّة لا تخلو في كثير من منطوقها من رشاقة وسلاسة وحسن ذوق . وليس العامّي حديث الوضع في العربيَّة وانَّما جرى عليهِ العرب في بَدْوِهم وحضرهم منذ القديم حتى في اوان الجاهليَّة وبعد الاسلام في كلّ اطوارهِ الى يومنا وللمستشرق

العلّامة كَرل ڤولّرس تأليف جليل في الالمانيَّة بيَّن فيهِ ذلك باوضح بيان (١ . وقد نشر حضرة الاب بولس سلمان في المشرق (١٧ [١٩١٤] ٣٣٢ و٤٦٦) مقاطيع من لغة اهل البادية في عهدنا تحت عنوان الشعر العربيّ في شرقي الاردن تخالف في اشياء كثيرة اللغة الكتابيَّة . وكم نشر بعض المصريين واللبنانيين من نثر ونظم للعامّة اقبل عليها الجمهور بكل رغبةٍ اذ رأى فيها صورة كلامهِ واخلاقهِ وقد اثنينا غير مرَّة على ما نشرهُ الاديب شكري افندي الخوري صاحب ابي الهول في سان باولو البرازيل من الروايات اللطيفة في اللغة العاميَّة . وفي المشرق عدَّة آثار حسنة من هذا الصنف

فعلى المجمع العلميّ ان لا يهمل هذا الفرع من اللغة الدارجة فانَّ في معرفتها منافع جمة كما اثبت ذلك نزيل بيروت وصديق المسلمين مرتين هرتمان في مقالة بديعة اثبتها في المشرق (١١ [١٤٩٨] : ١٩٠ و١١٠١) بهذا العنوان « اهميَّة جمع خواص الكلام الدارج » فترى هناك ما كان للقدماء من العناية في جمع كلام العامّة كالزجليَّات والموشَّحات وغيرها حرصاً على فوائدها القوميَّة والتاريخيَّة والصناعيَّة

فكم من الالفاظ التي يعرفها الحدَّاد والنجَّار والبنَّاء والنوتي والتاجر . . . كل لصناعتهِ كانت لو جُمعت افادت الكتبة في منشوراتهم . قد عرفنا في زماننا كاتبَيْن يسوعيَّين الواحد اسپاني الاب كولوما (Coloma) والآخر ايطالي الاب برشياني (Bresciani) تهافت القرَّاء على تآليفهما الفصيحة البليغة لما اودعاها من الالفاظ المأخوذة عن العامّة والمجهولة من الخاصّة . وغنيّ عن البيان انهُ من الواجب تمحيص العامّي قبل انتقاء مفرداتهِ ومركّباتهِ وإدراجها في اللغة الرسميَّة وذلك ايضاً من مهمَّات المجمع العلميّ الذي الى حكمتهِ يرجع كلّ ما ينوط باللغة وتحسينها وتوسيع نطاقها . ولا بأس ان يسعفهُ الادباء في تآليفهم ومقالاتهم التي ينشرونها في الجرائد والمنشورات فانَّ باحتكاك الآراء يسطع النور ويلوح الصواب

هذه بعض خواطر عرضت لنا في هذا الصدد علّها تصيب حظوة لدى الراغبين في تقدُّم اللغة العربية الطالبين لها مجاراة اللغات الدوليَّة وتكشف لهم بعض الطرق لتعزيزها ورفع منارها وعلى الله الاتكال فانهُ السميع المجيب

(١ هذا اسم الكتاب Volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien von **Karl Vollers**, *Strassburg*, 1906

كاهن فاضل عالم

الخوري بطرس المكرزل (١٨٢٨–١٨٨٨)

لحضرة الخوري بطرس غالب

الخوري بطرس المكرزل – هو غالب ابن بشارة غالب المكرزل . ولد في بيت شباب سنة ١٨٢٨ ولما بلغ الرابعة عشرة من سنيه ارسلهُ المطران عبدالله بليبل مطران قبرس الى مدرسة عين ورقة الاكليريكية فاتقن فيها العلوم الكهنوتية وكان استاذه الخوري نعمة الله الدحداح الذي صار مطراناً على دمشق فنبغ غالبٌ فيها وسيم كاهناً سنة ١٨٥٢

ثم عُيّن كاتباً لاسرار القصادة الرسولية في عهد السيد برونوني وبعد ذلك ارسلهُ غبطة البطريرك بولس مسعد وكيلاً بطريركياً الى الاسكندرية وفي ايام وكالته دُشّن قنال السويس وكان من جملة المدعوين فانشد للامبراطورة اوجيني قصيدةً عصماء راقتها فطلب منها ان تتوسط لدى خديوي مصر ليمنح الموارنة قطعة ارض يبنون فيها كنيسةً ووكالةً للبطريركيّة في الاسكندريّة فلبّت طلبه ونال له ما تمنّى وتبرّعت بمبلغ من المال لقيام الكنيسة

وفي تلك الايام مرّ بالاسكندرية يوسف بك كرم ذاهباً الى فرنسة فاكرم هو والجالية اللبنانية استقباله حتى قيل ان الحكام لم يجرِ لهم مثله ثم عاد الخوري بطرس الى لبنان فعيّنهُ المطران بطرس البستاني وكيلاً له في صور ثم عُيّن قاضياً للنصارى في المتن ودرّس اللاهوت في مار الياس شويا للتلاميذ الرهبان الحلبيين . ومن هناك استدعاهُ المطران يوسف الزغبي الى مدرسة قرنة شهوان فولّاهُ تدريس المعاني والبيان والفقه . وفي سنة ١٨٨٨ انتقل الى دار الابرار صباح عيد الصليب الكريم

وكان رحمهُ الله مثال الجد والاجتهاد متضلعاً من العلوم اللاهوتية والقانونية والفقهية اتخذه الامراء الشهابيون مستشاراً وكان شاعراً مجيداً جواداً ونحوياً متفرداً وخطيباً مصقعاً وناسخاً نشيطاً عالماً باللغات اللاتينية والايطالية والفرنسية والعربية والسريانية . ترك مؤلفات عديدة لم تزل خطية منها تخميس وتشطير ديوان المطران

جرمانوس فرحات وتعريب رواية استير شعرًا ونظم سفر نشيد الاناشيد وقصائد عصماء عربية وسريانية وتواريخ شعرية وشرح مجلة الاحكام واختصار شروح الشرع الاسلامي واعراب شواهد ابن عقيل . ونسخ مؤلف مرهج بن نمرون وكتاب المرطقات لمار يوحنا الدمشقي وشرح آيات الانجيل لكرديبح الكبير ومختصر في الطبيعيات وغراماطيق سرياني للترلاوي ومقالة في النفس الخ . وكتاب شرح ماهية النفس الناطقة لكوسابا كاتب وغيرها ليست بذات اهمية

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حلول الرهبانية اليسوعية في سورية

في السنة ١٦٢٥ تحقَّقت نوعاً رغبة الطيّب الذكر جرجس عميرة في كتابهِ الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام اذ كان اسقفاً على اهدن وكان طلب اليهِ ان يُرسل بعضاً من رهبانهِ ليقيموا بين الموارنة على صورة ثابتة بعد القصادة الموقَّتة التي مُهدت الى الابوين اليانو ودنديني

فان ملك فرنسة لويس الثالث عشر لحسن الصلات التي كانت بينهُ وبين ملوك آل عثمان كان نال من الباب العالي بعض الامتيازات لدولتهِ في الاستانة وفي اماكن الشام وبعض حواضرها كحلب ودمشق . لكنهُ رأى انَّ تلك الامتيازات تكون اعمّ خيرًا وافضل جدوى لنصارى الشرق لو مُنحت لمرسلين فرنسويين يستوطنون الممالك العثمانية ويسعون في خدمة الطوائف الشرقيَّة . فتاتّح في ذلك الكرسي الرسولي

وكان الجالس حينئذ على عرش الخلافة البطرسيَّة البابا اوربانوس الثامن · فبعد النظر في الامر ومراجعة مجمع انتشار الايمان صدرت اوامر قداسته لثلث رهبانيَّات فرنسوية اعني بهم الكرمليين والكبوشيين واليسوعيين بان يذهبوا الى انحاء الشام ليبشروا فيها بالايمان

١ اليسوعيون والموارنة في حلب

وكان اليسوعيُّون اوَّل من سبق الى تلبية هذه الاوامر فأرسل منهم اثنان وهما الابوان غسبار مانيليه وجان ستيلّا فسافرا الى سوريَّة في حزيران من السنة ١٦٢٥ ووصلا الى الاسكندريَّة في اواسط تموز واذ عرفا ان مدينة حلب من اكبر حواضر الشام وفيها من النصارى وتجار الفرنج اكثر من سواها مع قلة المرسلين فيها لمساعدة النفوس حيث لم يكن فيها غير الآباء الفرنسيسكان الايطاليين قصدا تلك المدينة وعزما على استيطانها وعلى خدمة اهلها الروحية تحت حماية قنصلها الفرنسوي بيار دوليڤيه فكان دخولهما اليها في اوائل شهر آب من السنة

وهنا حدّث ولا حرج بما نال الابوين اليسوعيين من المحن والمعاكسات وضروب الاضطهادات التي تعاورتهم كالسهام الراشقة من قبل قناصل الدول الاجنبية والمنتمين اليها · وأُقفلت في وجههم كنائس الشهباء الا كنيسة القديس الياس للموارنة فأمكنهم ان يقدّموا فيها الذبيحة المقدَّسة ويجدوا عند ابناء طائفتها بعض التعزية في بلاياهم

وفي رسائل المرسلين وتقارير السفراء والقناصل انَّ الموارنة كانوا اذ ذاك في حلب اقلّ الطوائف عدداً وانَّ كنيستهم كانت معبداً صغيراً بل حجرةً مجاورة لكنيسة الارمن لا تسع اكثر من اربعين الى خمسين شخصاً · ولم يكن حينئذ مقيماً بينهم اسقف يرعاهم وانَّما يقوم في خدمتهم وكيل اسقفي مع بعض الكهنة البسطاء

وكان في نيَّة الابوين المرسَلَين ان يصبرا على بلاياهما لولا انَّ اعداءهما سعوا عند الوالي العثماني قرمقاش محمد باشا واقنعوهُ بنفيهما من حلب بل من انحاء الشام فلم يستطيعا الَّا الرضوخ للقوَّة القاهرة

وقد فصَّل حضرة الاب تورنبيز اليسوعي تفاصيل اخبارهما في المُشرق (١٥[١٩١٢]):

٦٤٣–٦٤٨) فوصف سفرهما بحرًا الى مالطة ثمّ الى الاستانة حيث توقفا بعد مدة الى نوال فرمان شاهاني يسمح لهما في السكنى بحلب فرجعا اليها في اوائل السنة ١٦٢٧ وانتصرا بفضل المشير خليل باشا على كل اعدائهما فاطمئنا بالاوتفرّغا لاعمالها الرسولية

ونقتصر هنا وفقاً لغرضنا على ذكر ما اتياه من الخدم لطائفة الموارنة وحدها وقد باشرا اوّلًا بالعمل مع الفرنج ريثما يصحّ لهما التعليم والتبشير باللغة العربيّة التي انكبّا على درسها

ولما تمكّنا من التكلّم بها اخذا يشرحان التعليم المسيحيّ للصغار في الكنيسة المارونيّة وسيّما بانشاء اخويّة لابناء الطائفة. الّا انهما وُجدا في حالة من الفقر المدقع لانقطاع كلّ الحسنات عنهما تأثّرت منه صحّتهما فارسل سنة ١٦٢٨ الاب ماتيليه رفيقه الاب جان ستيلًا الى فرنسة ليلفت نظر الرؤساء والمحسنين الى تلك الرسالة الجديدة المهملة. فوافق وصوله اليها اذ كان الطاعون فاشياً في جهاتها فطلب من الرؤساء ان يخدم المطعونين وما لبث ان مات في افنيون شهيد محبّته نحو القريب في ١٨ ك ١ ١٦٢٩

اما الاب ماتيليه فتأذّى كثيرًا لبُعد رفيقه وأصبح في حالة من الضيق والعوز يُرثى لها فشُدّ في عضده ومنعه من خدمته للنفوس الى ان بلغ امرهُ مسامع الاب جيروم كويرو (P. J. Queyrot) الذي كان قضى سنين عديدة في رسالة لستانبول ثمّ في ارميا بصفة رئيس ديرها فقام من ساعته واتى الى الشهباء لمساعدة الاب ماتيليه وكان ذلك الاب جامعاً لكل صفات المرسل النشيط من تقى عميق وعلم واسع ونشاط في العمل وحسن تدبير للامور وهو يتكلم بكل لغات الشرق. فانتعش الاب ماتيليه لمجيئه واخذ كلاهما في فلاحة كرم الرب بغيرة لم تعرف الملل. وكان الاب كويرو يعرف شيئاً من الطبّ فالتجأ اليه كثيرون من المرضى وشفاهم

ولما كانت السنة ١٦٣٠ فشا طاعون جارف في حلب اودى بحياة الوفر مؤلفة من اهلها. فكان الابوان ليلًا مع نهار يتجوّلان في بيوت المصابين ليؤدّوا لهما ما استطاعا من الخدم الروحيّة والجسديّة. فكان مثلهما هذا مؤثرًا في قلوب الجميع حتى المعادين لهما. ومذ ذاك الحين تيسّرت لهما الامور وجعلا ينقطعان الى اعمال

دعوتهما دون مانع فتحا مدرسة للصغار وانشأ الاب كويرو اخوية للرجال في كنيسة الموارنة وألف كتباً عديدة روحية وعلمية فبقي في حلب كرزوس او رئيس الى اواخر السنة ١٦٤٣ فطلبهُ البطريرك افتيميوس الصاقزلي ليرافقهُ الى دمشق ليخدم فيها طائفة الروم وكان في حلب قد شارك ربّهُ بآلامهِ اذ تحامل عُمّال الاتراك على الرهبان فألقي الاب كويرو في حبس مظلم مقيَّداً بالاغلال وبقي هناك مدةً الى ان فداهُ احد التجار الفرنسويين بمبلغ من المال

وقدم الى حلب في العقد الرابع من القرن السابع عشر بعض المرسلين ذوي الفضل والفضيلة ممّن بقيت آثارهم الى عهدنا هذا. منهم الاب جان اميو (J. Amieu) الذي وصل الى حلب سنة ١٦٣٥ واشتهر فيها بتعليم الاحداث الموارنة وإعداد بعضهم للمدرسة الرومانية وكان يعظ في كنيستهم . وكان منبر الوعظ قريباً من شبّاك يطلّ على ساحة كنيستي الارمن والروم فكان هؤلاء يتزاحمون لاستماع وعظهِ وارشاداتهِ فردّ منهم كثيرين الى الايمان القويم وقد اشتهر هذا الاب بخدمة المرضى والمطعونين قبل ان ينتقل الى سواحل الشام سنة ١٦٥٠ وينشئ دير طرابلس

ومنهم الاب حبيب شيزو (Aimé Chézaud) الذي ادار اخويّة الموارنة في حلب وعُني بتهذيبهم وارشادهم . ألا انّ تقرُّبهُ الى الارمن جذب اليهِ محبّة اهل تلك الطائفة واساقفتها فانقطع اليهم وسافر الى اصفهان لينشئ هناك رسالةً لخدمتهم وتوفي هناك سنة ١٦٦٤ وكان هو ايضاً قاسى اوجاعاً كثيرة من قبل الاتراك في الشهباء. وأُلقي في حبس مُنتن لادّعائهم بأنهُ فتح معبداً للصلاة دون فرمان الدولة وكانوا وجدوهُ يصلي في غرفةٍ صغيرة. وكان هذا الاب بارعاً بالطبّ يعالج المرضى

وفي العقد الخامس من ذلك القرن أُرسل الى حلب يسوعيّان اخوان مثل السابقين فضلاً وبرارةً احدهما الاب غليوم غوده (Guil: Godet) دخل حلب سنة ١٦٤٢ فعطّرها برائحة قداستهِ مدّةَ ثماني سنين وخدم بغيرة متّقدة كلّ الطوائف الشرقيّة ومات تكفيراً من ذنب احد الرهبان الذي جحد النصرانيّة. ومن خدمهِ للموارنة انشاؤهُ اخويّةً لشبّانها سنة موتهِ ١٦٥٠ . والآخر الاب فرنسوا ريغوردي (Fr. Rigordi) الذي قدم حلب سنة ١٦٤٣ ولم يُطل فيها الاقامة وسيأتي ذكرهُ في جملة مرسلي صيداء

واشتهر في حلب في العقد السادس من القرن السابع عشر الاب فرنسوا ريغو

(Fr. Rigault) الذي جاء الى حلب سنة ١٦٥٠ مع الاب ادريان بارڤيله (Adr. Parvilliers) وانصبَّ كلاهما على اعمال الرسالة بين الموارنة وبقيَّة الطوائف. وقد ضُرب المثل بغيرة الاب ريغو وصبره على الضرب والاهانات التي نالتهُ من قبل المسلمين في حلب اما الاب ادريان فانهُ حاز لهُ اسماً طيباً بكتاباته

وفي هذا العقد عينه سنة ١٦٥٣ قدم الى حلب الاب نقولا بوارِسُّون (N. Poirresson) وتولى رئاسة ديرها وخدم الطوائف الشرقيَّة مدَّة ٢٩ سنة مارس فيها اسمى الفضائل

واوسع منهم شهرةً الاب يوسف بِسُّون (J. Besson) مؤلف كتاب سوريَّة والاراضي المقدَّسة (La Syrie et la Terre Sainte) وفي كتابهِ معلومات شتَّى عن الموارنة وصفاتهم الدينيَّة واحوالهم المختلفة وقد طُبع في باريس سنة ١٨٦٢

ومع انَّ اليسوعيين شملوا بعنايتهم جميع الطوائف في حلب الَّا انهم كانوا يخصُّون بهمَّتهم طائفة الموارنة اذ وجدوهم كلَّهم كاثوليكاً بسطاء القلب يتقبلون تعاليم مرشديهم برغبة فيسقط البذار الجيّد في تربة صالحة. وكانوا مع بساطتهم فقراء يستحقُّون تطويب السيّد للفقراء بالروح . أمَّا عددهم فكان اوَّلاً قليلاً ثمَّ ازداد حتى بلغ بمهاجرة اللبنانيين الى حلب نحو مئتي عائلة و ٤٠٠ نفس يرتزقون بالصنائع . وكان كهنتهم غالباً من لبنان قليلي العلم مرتبطين بالزواج فيسرُّون بمساعدة المرسلين لاسيَّما ان الفقر كان يعرّض ابناء ملَّتهم لأخطار عديدة فانَّ اصحاب الاديان المخالفة كانوا يطمعونهم بالمال ليجتذبوهم الى مذهبهم . فانكبَّ المرسلون اليسوعيُّون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوهُ بكل حرص ولم يألوا جهداً في تأصيل الايمان في ذويهِ وانعشوا فيهِ روح التقى والاقبال على الاسرار. فكان الموارنة يسبقون الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيَّة وسماع الارشادات والمواعظ ومباشرة العبادات الكنسيَّة والانضواء الى الاخويَّات الروحيَّة

وفي اواسط القرن السابع عشر اتخذ البطاركة يرسلون الى حلب اساقفة يقيمون فيها ويرعون ابناءها . وقد ذكر منهم الاب يوسف بوازو باحدى رسائلهِ المطران جبرائيل وهو جبرائيل بن يوحنَّا البلوزاني الذي سُقّفهُ على حلب البطريرك جرجس السبعلي سنة ١٦٦٣ فدبَّرها الى السنة ١٧٠٤ ثم خلف العلامة الدويهي في البطريركيَّة

الانطاكيّة . قال الاب بوازو ما تعريبهُ في كتابهِ الى سفير الدولة الفرنسويّة في الاستانة (١ :

ان الموارنة يمتازون بين كلّ نصارى الشرق بخضوعهم للكنيسة الرومانيّة واعتصامهم بها . وبما انهم جميعاً كاثوليك يقبلون منّا كل ما نقولهُ لهم لنكشف عنهم ذاك الجهل العميق الذي القتهم فيهِ الدولة العثمانيّة . بطريركهم مقيم في قنّوبين ولهم هنا (في حلب) رئيس اساقفة منشد الغيرة لخلاص شعبهِ وهو يلتمس حماية فخامتك ويطلب بنفوذ عزّتك ان تنال لهُ الرخصة لتوسيع كنيستهِ بهدم حائط يفصل الكنيسة عن بيت احد ابناء ملّتهِ فيمكن نساء الطائفة ان يحضرنَ منهُ الرتب الكنائسيّة فلا يختلطن كما يقضي عليهن بذلك حاضراً برجال من طوائف غريبة . وسيفصّل لفخامتك الامر اثنان من مرسلينا بكتابيهما وهما الابوان بنيه (Benier) وديشان . فان توفّق الامر على موجب رغبة الاسقف حظيتم ببركة جميع الكاثوليك وشكرهم المخلّد

وكان بطاركة الطائفة المارونيّة يباركون مساعي المرسلين ويطرئون اعمالهم الخيريّة . كيف لا وكان منهم بطريركان جليلان جرجس عميرة (١٦٣٣—١٦٤٤) ويوسف بن حليب العاقوري (١٦٤٤—١٦٤٨) تخرّجا في مدرسة رومية المارونيّة تحت ادارة الآباء اليسوعيين . ولمّا رفع بعض ذوي الغايات شكاوى عليهما الى البطريرك يوسف لم يلبث ان وقف على تهم اصحابها الباطلة وزادت روابط الحبّ بين المرسلين والطائفة الحلبيّة توثّقاً لاسيّما بعد أن قدم الى حلب بعض المرسلين المخلصين الحبّ للموارنة كالاب ميشال نو (Michel Nau) والاب اغناطيوس رينه كليسون (R. Clisson) والاب يوسف بوازو (J. Boisot) والاب ميشال ديشان (M. Deschamps) الذي استنفد وسعهُ لينال من الباب العالي بواسطة السفير الفرنسوي فرماناً لتجديد كنيسة الموارنة وتوسيعها كما رأيت (٢

وقد ساعد المرسلين في ادراك غاياتهم المبرورة بعض من قناصل فرنسة الذين جاروهم غيرةً في نشر الدين وخدمة الكاثوليك ولاسيّما الموارنة نخصّ منهم بالذكر أنج دي بونان (Ange de Bonin 1639-1642) وفرنسوا بيكه (Fr. Picquet, 1652-1661) والمركيز فرنسوا بارون (Fr. Baron 1661-1667) والفارس لوران دارڤيو (Chevalier L. d'Arvieux 1681-1695) فانهم دافعوا عن حقوق الكاثوليك دفاع الابطال ونجّوهم من عدّة مصادرات واهانات (لهُ بقيّة) .

---

١) راجع كتاب الآثار للمرحوم الاب انطون رباط Rabbath: Documents II, 94-95

٢) راجع كتاب الآثار السابق ذكرهُ (٢: ٦٥ و١٠٠)

مطبوعات شرقيّة جديدة

M. d'Herbigny S.J : L'Anglicanisme et l'Orthodoxie gréco-slave, *Paris, Bloud et Gay* 1922. *in* - 12, *pp.* 158

الانكليكانية والاورثذكسية اليونانيّة الصقليّة

انّ من اطّلع على مقالتنا المتونة بالانكليكانيّة والاورثذكسيّة (ص ٦٨ /) وقف على مساعي الكنيسة الانكليكانيّة المتعدّدة لتنضمّ الى الكنيسة الاورثذكسيّة الشرقيّة وقد بيّنّا هناك انّ تلك المساعي لم تأتِ بنتيجة مدّة نحو اربعمائة سنة لما رآهُ زعماء اكليروس الروم من التباين والاختلاف بين الكنيستين ليس في الطقوس فقط لكن في قضايا الايمان ايضاً. على انّ الانكليكان لم يقطعوا الرجاء من ذلك الاتحاد المرغوب تعظيماً لكنيستهم ومناقضةً لرومية التي بيّنت فساد معتقدهم. وها هم اليوم عادوا بعد سقوط روسيّة والحرب الكونيّة الى طَرْق هذا الباب وقد وجدوا لهم في البطريرك الحالي متكساكيس وفي الاكليروس الاورثذكسي في الصرب واليونان وسوريّة ومصر مساعدين لتحقيق امنيّتهم. فهل يتمّ الاتحاد المرغوب فانّنا لا نظنّ قرب وقوعه. وان تمّ فيكون اقوى ضربةٍ على الاورثذكسيّة الشرقيّة وأدلّ دليل على أنها ليست الكنيسة الحقيقيّة لشاركتها في الدينيّات الدّ عدوّ لورثذكسيّتها. فهذا ما اوضحهُ حضرة الاب اليسوعي ميشال دربيني في هذا الكتاب الجديد حيث فصّل كلّ تاريخ هذه المطامع البروتستانيّة منذ القرن السادس عشر الى يومنا واثبت ما يتهدّد الكنيسة الاورثذكسيّة من الخطر بتقرّبها الى الانكليكان وانّها لن تحيي شرفها القديم الّا برجوعها الى الحظيرة البطرسيّة كما كان قديسوها وتنفي عنها اوهامها بخصوص الكنيسة الرومانيّة ل. ش

Ch. Tisseyre : Une erreur diplomatique, La Hongrie mutilée. *Un vol., in* -16, *Paris, éditions Mercure, Prix* 5.f[s]

غلطة سياسيّة بحقّ الدولة المجريّة

أرسل احد مندوبي الدولة الفرنسويّة المسيو تيّار الى اقطار الدنوب للوقوف

على احوال المجر بعد معاهدة «تريانون» التي بترت قسماً كبيراً منها وجرّدتها تجريد النواة عن ثمرتها. فاقتنصت دولة يوغوسلافية هذه الفرصة لتحامل على تلك البلاد التاعسة وتسلب اموالها بما تحمّلها من الضرائب الباهظة بصورة تعويضات حربيّة. وقد بلغ السيل الزُبى في هذه الآونة الاخيرة حتى كاد يحدث هناك فتن ومشاغب سيئة العاقبة. فالمسيو تَسَار عرض ذلك في كتابهِ هذا وألفت الى تلك الاعمال الجائرة نظر جمعيّة الامم. ومن يطالع هذا الكتاب يقف على جور الانسان الفظيع لابن جلدته حتى قيل انّ اكبر عدوّ للانسان هو الانسان عينهُ الاب جبرائيل لوفنك

M. Heim : Sur les pentes du Pamir. *Un vol. in-16, Paris. Éditions Sansot. Prix* : 6 f^s 75

على عاطف جبال بامير

اتّفق سنة ١٩٠٧ اربعة سيّاح اميركيّان وافرنسيّان كانوا في بلاد تركستان على سياحة لم يباشرها غيرهم الّا القليل فعزموا على السفر الى كشغار في معاطف جبال بامير البعيدة وذلك رغبة في مشاهدة امور غريبة يحرّرون اخبارها عند عودتهم. فساعدهم الحظّ في هذه السياحة التي تجشّموا اخطارها برباطة جأش وعادوا منها سالمين. وقد تولّى احدهم المسيو هَيْم تحرير تلك السياسة واخبارها العجيبة التي سُررنا بمطالعتها في كتابهِ هذا ج.ل

Lettres du Lieutenant de Vaisseau Dupouey, *un vol. in-18, Éditions de la nouvelle Revue Française, Paris, 3 rue de Grenelle*

رسائل الملازم البحري دوبوي

دومنيك بيار دوبوي كاتب عصري اشتهر بعدّة تآليف تاريخيّة وفلسفيّة. وقد كان في اوّل امرهِ بعيداً عن الدين فانار الله قلبهُ وأصبح رسولاً بين رفاقهِ. وكان يشتغل بتأليف كتاب عن صدق ايمانهِ اذ نشبت الحرب الكونيّة فحالت دون عملهِ لكنّهُ تعوّض عن ذلك برسائل غاية في اللطف مفعمة بروح التديّن وحبهِ تعالى كان يكتبها في ساحات الحرب وهو في مقدّمة المحاربين ويوجّهها الى قرينتهِ وثبت على ذلك الى ان سقط شهيدَ وطنيّتهِ في معارك الايزر بين بحريّتهِ. فهذه الرسائل البديعة اراد الكاثوليك اخوتهُ اصحاب المجلّة الفرنسويّة الجديدة ان ينشروها فتبعث في

قلوب قرّانها ارقّ العواطف واسمى الشواعر الدينيّة ل. ش

Gabriel Guilbert : La prévision scientifique du temps. Traité pratique. *un vol. gr. in-8°, Paris. Aug. Challamel*, 1922

الإنباء سلفاً من حركات الجوّ علميّاً

انّ علم حركات الجوّ بقي زمناً طويلاً بل الى يومنا هذا علماً مبنيّاً في الغالب على الاختبار. وغاية ما امكن المراصد الجوّية ان تفيدنا في ذلك انّما كان حدساً لا يصحّ الّا بنسبة الواحد الى الخمسة. وها هوذا صاحب هذا الكتاب المسيو غيلبرت رئيس مرصد الدولة الجوّي في فرنسة قد بيّن ان للإنباء بحركات الجوّ طريقة علميّة غير الجارية الى اليوم ان جرى عليها العلماء يمكنهم ان ينقصوا تلك النسبة الى نصفها. وقد عرض طريقته هذه في مؤتمر لياج الدولي سنة ١٩٠٥ فصدّق عليها ارباب الفلك. وهذه الطريقة مبنيّة خاصّة على رصد الارياح فانّ الريح هي المؤثرة في الضغط الجوّي واختلافاته وبالتالي في تغيير الزمان. وقد حاول في هذا الكتاب ان يثبت رأيه نظريّاً وعمليّاً بحيث يستطيع الناس تقريباً ان يعرفوا سلفاً ما سيحدث في الجوّ من صحو او غيم او مطر او نوء او ثلج او بَرَد او صقيع او حرّ او برد. وقابل بين طريقته هذه المستحدثة والطرائق السابقة فبيّن فضلها عليها. ونحن نتمنّى ان يتّسع الكاتب في ابحاثه المفيدة وينشرها في الكتائب والمراصد الجوّية ج. ل

Levenq (G.) : Le Français par l'Image. *Beyrouth Impr. Catholique*, 1922, *in-12, pp.* 94

تعليم اللغة الفرنسويّة بالصور

قد اشرنا سابقاً الى هذا التأليف الذي نجز منذ زمن قليل فاذا به وفق ظنّنا في حسنه معنى ولفظاً. فانّ الكاتب الفاضل بنى على ما في تأليفه من الصور التي رسمها المصوّر الارمني البارع الطونيان افندي تعليماً سهلاً للغة الفرنسويّة جامعاً لمفرداتها ومركّباتها وقواعدها النحويّة وتمارين شتّى على مضامين كلّ صورة. فهذا كما ترى تعليم الاشياء بالنظر. وما يعاينه الاحداث اشبه بالنقش على الحجر لا يبرح من ذهنهم

Jean Drault : Une cause célèbre : l'Assassinat du P. Thomas et le Talmud. *Paris*. 1922, *in-16, pp.* 64, *Édition de la Vieille France*

دعوى شهيرة: التلمود وقتل الاب توما الكبوشي

انّ اعمال اليهود الفظيعة في روسيّة بواسطة البولشفيّة جدّدت في الباحثين الدقيقين

ذكرَ ما أتاهُ اليهود من الاثم الشنيع اذ كانوا يحاولون كلّ سنةٍ في جهات مختلفة ان يستنزفوا دم احد المسيحيين ليمزجوهُ بفطيرهم الفصحيّ. والروايات الصادقة في ذلك لا تُحصى ألا ان دعوى قتل الاب توما الكبوشيّ وخادمهِ ابرهيم أمارة بلغت من الشهرة اكثر من سواها لما جرى فيها من الاستنطاقات الرسميّة والاقرارات في مجالس الحكّام التي لدينا صورتها الراهنة. فهذه الدعوى مع تفاصيلها قد تكرَّر نشرُها هذه السنة مع بيان صحّتها بنصوص كتاب التلمود وتعاليم الربّانيين اليهود. فليقم بعد ذلك « العالم الاسرائيلي » وينسب الى الصليبيين سوء معاملتهم لبني اسرائيل ل. ش

اراحة الضمائر في كشف السرائر او سرّ التوبة

بقلم الخوري لسقفي فرنسيس الشمالي

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٣ (ص ١٨٠)

نِعم الاسم اختارهُ لكتابهِ حضرة المؤلّف فانّ لا راحة تامّة لضمير الخاطي الّا بكشف سرائر قلبهِ لمن اقامهُ الله نائباً عنهُ ليعالج داءهُ ويشفيهُ الشفاء التامّ. ولا غرو فان كانت امراض الاجساد لا يعالجها الاطباء ما لم يقفوا على اسرارها فكم بالحري ادواء النفس يجب كشفها لحكيم الارواح ليحسن بُرءها. على انّ جسم هذا الكتاب موافقٌ لاسمهِ اذ استقرى حضرة كاتبهِ كل ابواب اللاهوت الادبيّ الخاصّة بسرّ التوبة ونظّمها في كتابهِ على افضل منوال وعرضها على طريقة شائقة رائقة مع امثال وشواهد تقرّب فهمها وتبيّن ما في هذا السرّ من الانطباق مع حكم الفلاسفة واعتقاد الشعوب فضلًا عن فوائدهِ الشخصيّة والاجتماعيّة وقد زيّف ما اعترض بهِ اعداء الكنيسة على ممارستهِ. فما لنا الّا ان نشكر حضرة الخوري لسقفي على تأليفهِ ونحضّ المؤمنين وطالبي الحقيقة على مطالعتهِ وادراك معانيهِ ل. ش

تجارة العراق قديماً وحديثاً

بحث تاريخي اقتصادي بقلم رزق الله غنيمة

طُبع في بغداد سنة ١٩٢٢ (ص ١٧٤)

كلّ يعلم انّ بلاد العراق تُعدّ من اخصب بلاد الله واغناها وان في بعض

جهاتها مهبط الوحي الاوّل. ولذلك كانت ولا تزال تجارتها في مقدّمة تجارات الممالك العثمانيّة. فألمّ بهذا البحث المفيد مكاتبنا الاديب يوسف افندي رزق غنيمة فاتّخذه مادّةً لعدّة محاضرات ضمّنها معلومات عديدة استقاها من موارد قديمة وحديثة ثمّ القاها في معهد بغداد العلمي فاحرزت رضى جميع سامعيها ونُشرت تباعاً في جريدة العراق. ثمّ تمنّى كثيرون لو تجمع فتطبع في كتاب خاصّ فاجاب كاتبها الى ملتمسهم خدمةً لاهل بلاده بل لجميع محبّي التاريخ وطالبي الاقتصاد. ولا مراء انّ الناشئة العراقيّة تُقبل على مطالعته برغبةٍ فتقف على ما في اوطانها من اسباب الرقي بتعزيز التجارة. فنهنّئ المؤلف على حسن تأليفهِ ونتمنّى له رواجاً واسعاً ل. ش

كتاب سرّ التقوى

بقلم حبيب جرجس ناظر المدرسة الاكليركيّة وواعظ الكاتدرائية المرقسيّة الارثوذكسيّة

طُبع بمطبعة الشمس في القاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ٤٣٦)

اخذتنا الدهشة لدى تصفّحنا هذا الكتاب من شدّة مشابهته لسفر الاقتداء بالمسيح وذلك من كل الاوجه سواء كان في اختيار المواضيع او في طريقة عرضها وايضاحها او في لهجة الكاتب الحارّة التقوى القويّة الاقناع مع رقّتها وانسجامها. فكأنّهُ واعظ يخطب من منبره لا مؤلف روحي يسوّد الصحائف على مكتبه. فيخيّل الى الطالع ان هذين الكتابين فرعان لدوحة واحدة او يُردان منسوجان على منوال واحد. ولعلّ الكاتب تسرّب رَدَحاً من الزمان افكار سفر الاقتداء بالمسيح السامية وعواطفهُ النبيلة فاصبح قادراً على ابرازها بثوب قشيب وبلغة فصحى وعبارة منسجمة وخيالات مستظرفة. ومن اراد ان يتحقق بنفسهِ صدق حكمنا في الشبه بين الكتابين المذكورين فليقابل مثلاً بين الفصل الثاني من كتاب سرّ التقوى وعنوانهُ "يسوع لنا كلّ شيءٍ في كل شيء" والفصل الثامن من السفر الثاني للاقتداء بالمسيح وموضوعه "الاتحاد الباطن بيسوع". وليقارن ايضاً الفصل ٢٦ من المؤلف الاول في اماتة الذات وكبح الآلام بالفصل ١٢ من السفر الثاني من الاقتداء وعنوانه "جادّة الصليب السلطانية". ومن ابهى محاسن فصول "سرّ التقوى" انها مشحونة بآيات الكتاب المقدس المدمجة بكلامها ادماجاً لطيفاً ويا ليتهُ ضمّنها شيئاً من ذكر الاسرار

لاسيا سرّ القربان كما فعل صاحب الاقتداء. على اننا نثني على همّة مؤلّف هذا الكتاب النفيس ونتمنى من صميم الفؤاد ان تتم رغبته في تسطيرهِ كما بيّنهُ في مقدّمتهِ «ان ينهج لطالبيهِ سبيل التقى ويُعدّ لهم سعادة الدارين» الاب ر . مخلّه

الروزنامة الدائمة

لصاحبها الخوري دانيال شريم الراهب الباسيلي الشاوي

طُبعت بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٩٣٢

كلّ يعلم ما في الروزنامات الورقيّة من الافادات المتعدّدة يطّلع عليها كل يوم مقتنيها . وقد اراد حضرة الخوري دانيال شريم ان يجمع معظم تلك الفوائد في صفيحة واحدة تغني صاحبها طول القرن العشرين عن مراجعة واقتناء تلك الروزنامات على شرط ان يدرس مليّاً اسرار هذه الصفيحة ويطّلع على رموزها . ولهُ في كتابها احسن دليل الى ذلك بما جعلهُ كمفتاح ذهبيّ لتلك الروزنامة . فنشكر همّة واضعها ونتمنى لعملهِ رواجاً

شذرات

﴿ سيّدات التعليم المسيحي في باريس ﴾ انّ في باريس الوفاً مؤلّفة من الاحداث يرتزقون بالاعمال اليدويّة او يقيمون في انحائها متشرّدين مهملين يعيشون بالبطالة وسوء الآداب فقامت احدى السيّدات وجمعت بعض ذوات الغيرة والتقى من سكّانها فأنشأنَ مدارس الآحاد لاولئك الاحداث ليعلّمنهم التعليم المسيحيّ ويُغذينهم بالمناولة الاولى ويهتممنَ بشؤونهم . وهذا المشروع الجليل قد بلغ اليوم مبلغاً ما كان ليخطر على بال : فان عدد السيّدات اللواتي يهتممنَ بهذا العمل ٣٠٠٠ سيّدة يرشدن بالتعليم المسيحي كلّ يوم احد في احياء المدينة خمسين الفاً من الاحداث فيا لهُ ما اجلّ نتيجة الغيرة المسيحية وما اعظم ثوابها

﴿ المهاجرة الى الولايات المتحدة ﴾ قد سنّت حكومة الولايات المتّحدة منذ سنة

بنيف شريعةً لا يُسمح بموجبها ان يُقبل في تلك البلاد من المهاجرين الّا ثلثة بالمئة نسبةً الى عدد بني اوطانهم فكانت حصّة السوريين ٩٠٦ ثم بلغت ١٠٠٨ فيدلّ ذلك على انّ عدد المهاجرين من سوريّة الى الولايات المتحدة يبلغ اليوم ثلثين الفاً و ٩٠٠ نفس وهذه الحصّة ستكون ٩٢٨ في العام المقبل من ١ تموز ١٩٢٢ الى ٣٠ حزيران ١٩٢٣ وتكون حصّة تركيّة ٢٣٥٨ وفلسطين ٦٧ فيكون عدد الرعايا الاتراك هناك ٧٠٧٤٠ وعدد اهل فلسطين ٢٠١٠ وقد نشروا جدول حصّة كل الدول وما يمكنها ان ترسلهُ الى تلك الجهات من رعاياها بناء على النسبة السابقة ومنها يظهر انّ المهاجرين الالمانيين اوفر عدداً من سواهم في تلك الانحاء فان عدد من يجوز لهم المهاجرة الى اميركة يبلغ ٦٧٬٦٠٧ فيدلّ ذلك على انّ عددهم هناك يبلغ ٢٬٢٨٠٬٩٠٠ ويأتي بعدهم الايطاليّون فالمسموح ان يدخل الولايات المتّحدة منهم ٤٢٬٠٥٧ فيكون عددهم هناك ١٬٣٦١٬٧١٠ ثم البولونيّون وهم هناك ٦٣٢٬١٨٠ فيجوز ان يدخل اميركة الشماليّة منهم ٢١٬٧٦٠ أمّا الفرنسويّون فعددهم لا يتجاوز في الولايات المتحدة ١٧١٬٨٧٠ فحصّتهم من المهاجرة ٥٢٢٦

﴿ فلكيُّ الفاتيكان والحبر الاعظم ﴾ هذا الفلكيُّ راهبٌ يسوعيٌّ اميركيُّ الجنس اسمهُ الاب جون هاغن (J. Hagen) اشتهر منذ خمسين سنة بالعلوم الفلكيّة واخترع آلات عديدة لرصد الرياح وحركات الجوّ والانواء البحريّة حتى شاع اسمهُ في العالمين. فبعد ان خدم دولتهُ مدّة ٢٥ سنة طلبهُ قداسة بيوس العاشر لادارة المرصد الفاتيكاني الذي امتاز في تدبيرهِ غيرهُ من اليسوعيين لاسيا الاب انجلو سكّي الشائع الصيت. فتولّى الاب هاغن هذا العمل الخطير منذ ١٢ سنة بما عُرف بهِ من الهمّة وبلّغ المرصد الفاتيكاني مبلغاً يجاري فيهِ اكبر مراصد اوربّة الدوليّة. وكان الحبر الاعظم الحالي قبل ترقيهِ الى مقامهِ السامي يتردّد الى هذا المرصد ويحبّ الاجتماع مع مديرهِ فاراد في الشهر الماضي ان يشرّفهُ بزيارة خاصّة آنسهُ فيها كل المؤانسة وشكرهُ على ما ابداهُ من الهمّة القعساء في المؤتمر الفلكي الاخير الذي عُقد في رومية فكان مع تقدّمهِ في السنّ مثال الرقّة واللطف في خدمة جميع المؤتمرين واطلاعهم على مخترعاتهِ العجيبة

﴿تقرّب الروم الاورثذكس من الكنيسة الانكليكانيّة ﴾ اطلعت جريدة

الهدية في عددها الصادر يوم الاثنين في ١٤ و ٢٧ كنرين الثاني على تصريحات سيادة المطران جراسيموس مسرَّة مطران بيروت على الطائفة «الاورثذكسية» في جريدة سان فرنسسكو جورنال» بخصوص التقارب بين الكنائس الانكليكانية والبروتسطانية الاسقفية وبين الكنيسة الاورثوذكسية. ومن غريب ما قيل هناك «انَّ الكنيسة الانكليكانية والكنيسة الشرقيَّة ما برحتا تسيران جنباً الى جنب في المواضيع العقائديَّة» (كذا) وانهُ «قد أُذِن منذ عهد بعيد لاكليروس الكنيسة الاورثذكسية واكليروس الكنيسة الانكليكانيَّة ان يقيم كل منهما الصلوات بحسب طقوسهِ الخاصة في الكنائس المكرسة من الفريق الآخر» وممَّا صرَّح بهِ سيادة المطران مسرَّة انهُ «ينتظر ان يرى في المؤتمر الديني العالمي الذي سيعقد في واشنطن سنة ١٩٢٥ افتتاح حركة قويَّة تواصل التقارب الحالي نحو ايجاد الوحدة بين الكنائس المسيحيَّة اذ حان الوقت لان تتغلَّب القوَّات المسيحيَّة على ما بينها من الاختلاف في العقائد لتظهر متَّحدة امام غير المؤمنين والملحدين» كذا بحرفهِ

(نقول) لسنا وايم الله اعداء اتحاد الكنائس ونحن ابناء ذاك الذي طلب من ابيهِ لتلاميذهِ ان يُكمَّلوا في الوحدة وتمنَّى ان يكون لكنيستهِ حظيرةٌ واحدة وراعٍ واحد ولكن أتكون الوحدة بالفوضى واي فوضى اعظم من الفوضى الدينيَّة في الكنائس البروتستانيَّة حيث لا يجتمع اثنان على رأي واحد فان كانت الكنيسة الاورثذكسية تكتفي بان تحفظ طقوسها فتشارك البروتستانيَّة في الدينيات والعقائد فالسلام على الاورثذكسيَّة. مسكينة الاورثذكسيَّة فانها بعد تقسيمها الى بطريركيات مستقلَّة اصبحت كريشة في مهبّ الرياح لا يسعى كلُّ قسم منها الَّا في منافعهِ الخاصة وهي في الغالب آلةٌ في ايدي الحكومات المدنيَّة والسينودسات الطائفيَّة واليوتات الغنيَّة يتصرَّفون بالاكليروس كيف شاؤوا فكم حصل في مجالسهم من المناقشات والتنازعات وكم أقامت القيامات فانَّ القليل ممَّا يبلغ صداهُ الى مسامع العموم تطنُّ منهُ الآذان. ولذلك سقطت أهمية الاكليروس الاورثذكسيّ في اعين الشعب واصبحت الرعايا كخراف لا راعي لها. فترى الدين مستضعفاً والاسرار مهملةً وهناك الماسونيَّة تنتشر بين الاورثذكس انتشار الوباء الذريع. وممَّا يزيد الطين بلَّة انَّ الاكليروس نفسهُ بل البعض من زعمائهِ واساقفتهِ ليسوا سالمين من هذا الوباء القتَّال. فلا عجب اذ ذاك ان

ينفث البروتستانت سمّهم في الكنيسة الاورثذكسية لا يرون في اربابها من التساهل الديني مباشرةً ببطريرك الفنار الحالي وعدّة اساقفة الذين تشرّبوا تعاليم البروتستانت في مدارسهم او بمطالعتهم كتبهم والبعض منهم تُؤلّف قلوبهم بالهبات المالية التي يدفعها البروتستانت بسخاء لمن يسعون بالتقرّب اليهم

﴿المعهد البابوي الشرقي﴾ قد احسَّ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بهذه الاخطار التي تتهدَّد دين الكنائس الاورثذكسيَّة ففتح سنة ١٩١٨ المعهد البابوي الشرقيّ وجهَّزهُ بما يليق ناديًا مثلهُ من اسباب الرقي . فدعا اليهِ قومًا من مشاهير الاساتذة الاختصاصيين الذين لم يَفُتهم شيءٌ من احوال الشرق الدينيَّة وعهد اليهم تدريس كل فروع العلوم الدينيَّة الشرقيَّة من طقوس وآثار وتاريخ وحقّ قانوني وتمنَّى لو تُرسل الكنائس المنفصلة بعضَ كهنتها او تلامذتها ليحضروا تلك الدروس ويعرضوا بكل سذاجة آراءهم على اولئك المعلّمين لكي تزول ما بين الشرق والغرب اسباب التنافر بل سوء الفهم لانَّ هذه الكنائس في اصلها وطقوسها وآثارها القديمة وقدِّيسيها كانت كاثوليكيَّةً محضة الى ان انبعث من بعض القلوب المجرَّة كثيفة حجبت عن وجهها ساطع نور الحقيقة . وما غاية هذا المعهد الاَّ كشف ذاك الحجاب . وها هوذا الحبر الاعظم الجديد قد ضمَّهُ الى معهد آخر لما بينهما من الارتباط نعني بهِ المعهد البابوي الكتابي لدرس الاسفار المقدَّسة الذي سلَّم تدبيرهُ الى الرهبانية اليسوعية فصار اليوم المعهدان في ذمّة الرهبانيَّة المذكورة التي لا تدَّخر وسعًا في رقيهما معًا وترحب بكل من يقصدها للوقوف على صادق الامور والوحدة المبنيَّة على الحقّ المنير

﴿اليهود في مصر﴾ افادنا المستر هوپكنس (G. Hopkins) انَّ مطبعة كلارندون الشهيرة في اوكسفرد اتمَّت القسم الثاني من كتاب الدكتور مَن المعنون بهذا الاسم : اليهود في مصر وفلسطين في عهد الدولة الفاطميَّة (D^r Manns: Jews in Egypt and Palestine under the Fatimids) وطلب الينا ان نُعلن بصدوره . فنلبّي دعوتهُ بطيب القلب ونؤجّل وصف الكتاب ومضامينهِ الى يوم اطّلاعنا على نسخةٍ منهُ

﴿السياسة الحيَّة﴾ قد صارت سياسة بلادنا كما هو معلوم في عهدة المجلس النيابي وهي سياسة علنية يمكن الجميع الاطّلاع على مآتيها وتقاريرها وانتقاد

اعمالها · على انّ وراء تلك السياسة الظاهرة المكشوفة سياسةً أخرى خفية يتولاها أُناس ليس لهم صفة رسميّة في الدولة وانما يجتمعون في الخفية لترويج غاياتهم الشخصية ومرغوبات جماعتهم غير القانونية بما امكنهم من الوسائل اوّ قل من الدسائس · وما هذه الجماعات الّا المحافل الماسونيــة التي تسعى في ظلمات مجالسهــا بوضع يدها على السياسة الملية وتدبير امور البلاد على هواها · وها قد نهضت في هذه المدة الاخيرة نهضةً جديدة فانشأت محافل ماسونية في لبنان ومدن الداخليــة كحمص ودمشق وحلب · أمّا جهابذة هذه النهضة فيوسف الحاج صاحب الانوار المنكسفة وفضل الله ابو حلقة وامثالهما من ابناء الارملة · فما احرى بمندوبي السياسة الملية ان يأخذوا حذرهم من الماسونية واحرارها المزعومين !

﴿ثلاث وفيات﴾ انتقل الى جوار ربّهم في هذه الأيام الاخيرة ثلاثة من الرجال يختلفون مقاماً وخطّة · فكان الاوّل المرحوم داود بك عمون الذي عُرف كسياسيّ عاقل مخلص الخدمة للدول التي انتدبتهُ لتدبير اعمالها ولاسيما لفرنسة في سوريّة وقد أدّى به حسن نظرهِ ان يقطع علاقاتهِ مع الماسونية بعد اختبارهِ لاسرارها توفّي في بيروت ودُفن في وطنهِ دير القمر بكل اكرام · والثاني رجل الخير والاستقامة في كل المعاملات والدين الصادق المتين وقدوة الأُسر المسيحيّة الأسوف عليهِ بشاره بارد عميد عائلتهِ الكريمة منذ سنين طويلة بارك الله عائلتهُ ووفّقهُ في اشغالــهِ · توفي في القطر المصري · أمّا الثالث فرجل من العُمّــال ممّن لا يكاد يهتمّ لهم العالم وهم خيرتهُ وفخرهُ وهو المرحوم ابراهيم القدراني الذي ثبت نحو ستين سنة في خدمتهِ النشيطة لربهِ ولوالدة الله مريم البتول فكان مثالاً حياً للفضائل المسيحية في كلّ اطوار حياتهِ وخصوصاً بتفانيهِ في مصالح اخويّة الامّ الحزينــة · رحمهم الله جميعهم واثابهم عن حسن اعمالهم

﴿قنصل شهيد﴾ هو سليل جمعيّة الرسالة اللعازريّة الاب المكرّم جان لوفـاشه (J. Le Vacher) تلميذ القديس منصور دي پول واحد المتمين الى جماعتهِ الرهبانيّة في القرن السابع عشر ارسلهُ القديس الى تونس لمساعدة اسرى النصارى سنة ١٦٤٧ فأدّى لهم من الخدم ما لا يحيط بهِ الاحصاء · فعهدت اليه فرنسة بقنصليتهــا هناك وجعلــهُ الكرسيّ الرسولي نائباً رسولياً على مدينــة قرطجنّة · ثمّ انتقل الى الجزائر

وواظب على اعماله العجيبة فيها كما فعل في تونس واستحق شكر دولته وارباب دينه في كل معاملاته. وكان سبب موته انهُ خلَّص من ايدي احد زعماء القرصان فتاة نصرانية اراد اغتصاب شرفها. فنقم عليهِ ولما عُهد اليهِ الحكم في الجزائر ألقى القنصلَ الفرنسويّ في السجن ثم ربطهُ في فوهة مدفع كبير اطلقهُ على جسمهِ فطار شعاعاً. لكنَّ الله مجَّد عبدهُ بما جرى على يدهِ من الكرامات والعجائب التي حدث البعض منها في هذه المدة الاخيرة بعد الحرب فالامل معقود على قرب نظم اسمهِ في سجلّ اولياء الله بصفة طوباويّ

﴿تمجيد الله لقديسيهِ﴾ كتبنا سابقاً فصلاً في التذكار المئوي الثالث لاعلان قداسة القديسين اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانية اليسوعية وفرنسيس كسفاريوس رسول الهند ويابان. وقد عقد العالم الكاثوليكي بهذه النسبة حفلات شائقة ذكرتها الجرائد. على انَّ اسبانية وطنهما قد امتازت باكرامهما امتيازاً عظيماً لاسيَّما اذ أرسل رئيس الرهبانية اليسوعية العام ذخيرتين ثمينتين من ذخائرهما اعني جمجمة القديس اغناطيوس وذراع القديس فرنسيس الذي قُطع من جسدهِ المصون بتمامهِ دون آثار الفساد في مدينة غوا في الهند وذلك سنة ١٦١٦. وكان الحبر الاعظم طلب تلك اليد اليمنى التي صبغت بالمعموديَّة نحو مليون من الوثنيين واجترحت المعجزات العديدة. فما بلغت الذخيرتان الى اوطانهما حتى اهتزَّت تلك البلاد طرباً وقامت اسبانية وقعدت لاستقبالها واكرامها. فكانت جماهير الشعب وفي مقدّمتهم الاساقفة والكهنة وارباب الدولة وعمالها كلهم ببزتهم الرسميَّة يتقاطرون على طريقها لينالوا بركتها وذلك بأبهة ورونق لا يراه احد في اكبر مواسم الدولة فتقام الحفلات في الساحات والكنائس المزيَّنة بافخر الحلي والزين فتُلقى المواعظ في مديح القديسين وتقرع سائر الاجراس وتُطلق المدافع ويتغنَّى الناس بالاغاني التقويَّة الوطنيَّة وتصدح كل الآلات الموسيقية. وكان بين الحضور أُسرٌ يترقَّى اصلها الى عائلتي القديسَين. وقد جرت ايضاً بعض المعجزات بشفاعتهما تناقلتها الصُّحف المحلية. فهكذا يمجّد الله قديسيهِ الذين مجدوا اسمهُ في حياتهم !

اسئلة واجوبة

س سأل احد قرّاء مجلة المقتطف من هو الاب جيروم سكَّري الذي ورد ذكرهُ في بعض اعداد المقتطف كشارح مبادئ اوقليدس ؟

الاب جيروم سكَّري (Sacchari)

ج هذا راهب يسوعيّ مولود في سان ريمو سنة ١٦٦٧ ومتوفى في ميلانو في ٢٣ ت ١ سنة ١٧٣٣ لهُ عدَّة تآليف منطقية وفلسفية وهندسية . أما كتابهُ في اوقليدوس فطبعهُ في اللاتينية في ميلانو سنة ١٧٣٣ بهذا العنوان Euclides a nævo vindicatus دافع فيهِ عن كتاب مبادئ اوقليدوس الأوليَّة للهندسة واثبت صحتها

س وسأل القارئ السابق ما هو تاريخ كلدو واثور للقس مارونا حكيم المذكور في عدد نوفمبر للمقتطف (ص ٣٧٢)؟

تاريخ كلدو واثور

ج لا نعرف تاريخاً بهذا الاسم للقس مارونا حكيم . وانما تاريخ كلدو واثور هو تأليف جليل للمأسوف عليهِ ضحية همجية الاتراك السيّد ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني طبع منهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة جزئين في نحو ٤٠٠ صفحة ذكر فيهِ اخبار الكلدان وبلادهم منذ اوائل التاريخ الى الدولة الرومانية فحال قتلهُ دون اتمامهِ وكان اعدَّ الجزء الثالث لينشرهُ بالطبع فاخذتهُ ايدي الضياع وفُقد مع ما فُقد من مخطوطات مكتبة سعرد الثمينة

س وسأل مستفيد أصحيح ان الشهيدة القديسة بربارة استشهدت في بيروت ؟

استشهاد القديسة بربارة في بيروت

ج هذه رواية لم نجدها الا في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي ذكرناهُ سابقاً (ص ١٧) والاصحّ ان استشهادها كان في نيقوميديا في عهد الملك ديوقليانوس

ل . ش

المشرق

رسول الصحراء

الاب شرل دي فوكو

لحضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

المقدمة

انَّ بين السوريين والافرنسيين صداقةً يرقى عهدها الى القرون الوسطى فوشجت بين العنصرين منذ شرلمان في القرن التاسع للميلاد الى لويس الرابع عشر اواصرُ لم تزل تزيد توثّقًا الى أيام نابوليون الاول والثالث حتى يومنا هذا حيث بلغت غايتها بما عُهد الى فرنسة من الانتداب على سورية واهلها. والحقّ يقال انَّ فرنسة اصابت في كلّ آن المقام الممتاز بين سائر الامم في حبّها لبلادنا حتى شاع على ألسنة اهل مواطنينا انَّ الافرنسيين لأقرب الاجانب منّا بل كدنا لا نعدّهم غرباء في اقطارنا لاسيما منذ رأينا في قوّادهم وكبار موظّفيهم من الاستقامة والعدل والدفاع عن حقوقنا ما استأسر قلوبنا وسبى عقولنا. وليس كلامنا هنا عن بعض الافراد الذين شذُّوا عن سُنن الكرامة واستسلموا الى اهوائهم اذ لا تخلو أمّةٌ في الكون الّا وبينها بعض ذوي النايات السافلة والاخلاق الرديئة فما علينا الّا ان نتعرّف بالافرنسي الحقيقي ونفرق بحسن نظرنا بين الغثّ والسمين وبين الخرز والدرّ فلا نكتفي بالاحتكاك الخارجي السطحيّ بل نسعى بالولوج الى بواطنهم حتى اذا ادركنا كرم شيمهم وشرف

نفوسهم زاد اعجابنا بها(١) فتتقرّب القلوب وتتّحد النيات وتتضافر المساعي في سبيل الخير العام

وهذا ما حدا بنا الى ان نعرض على قرّاء المشرق مثالاً حديثاً من حياة رجل شريف يُدعى شرل دي فوكو استغواهُ الشيطان في ميعة شبابهِ بالاماني الكاذبة فما لبث ان اهتدى الى الصلاح فاحبَّ اوّلاً ان يبذل ذاتهُ في خدمة وطنهِ بصفة ضابط فحلت في عينهِ تضحية نفسهِ فلم يزل يطلب ما هو ارفع واسمى حتى بلغ قمّة الكمال المسيحي وتاق الى الاستشهاد في خدمة النفوس . ومعظم استنادنا في هذه النبذة التاريخية الى ترجمة حياة ذاك البطل بقلم احد مشاهير الكتبة رينه بازن من اعضاء الاكادمية الفرنسويّة الذي يتهافت الناس على كتاباتهِ لما يرون فيها من حسن الذوق وبلاغة الانشاء وصدق اللهجة معاً (٢

على انَّ من درس اخلاق الافرنسيين وتقاليدهم وامعن النظر في تاريخهم وآدابهم يرى لاوّل وهلةٍ في دي فوكو مثالاً حيّاً يمثّل طباع أمّتهِ الكريمة ومزاياها الفريدة فيحبّبها الينا ولاسيما انهُ عاش بضع سنوات في بلادنا وفي بلاد تشبهُ بلادنا بلغتها وعوائدها ودين السواد الاعظم من اهلها وهو يستنفد القوى في دعوتهم الى الله وكسر اغلال النفوس اسيرة شهواتها واوهامها الباطلة ليمهّد الطريق لمن يأتي بعدهُ من المبشرين . فكان « كالصوت الصارخ في البرّيّة أعدُّوا طريق الربّ واجعلوا سبلهُ قويمةً » (متى ٣ : ٣) فيا ليت ذكرى حياتهِ وتعذيبهِ تضرم الغيرة في قلوب المرسلين في البلاد العربيّة ليجروا على آثارهِ ويحصدوا بفرح ما زرعهُ في الدموع

١ سن الصبا والجهالات

ولد شرل دي فوكو من اسرة شريفة في ستراسبورغ سنة ١٨٥٨ ورضع مع الحليب روح الدين والتقى لكنهُ لم يبلغ السادسة من عمرهِ اذ اختطفت يد المنون حياة والديهِ وامسى رهينة رعاية جدهِ السيد دي مورليه الكولونيل في فرقة مهندسي الجيش وكان هذا رجلاً صالحاً حيّ الايمان لولا انَّ واجبات مهنتهِ ادّت بهِ الى التساهل

---

١) اطلب ترجمة لويزة دي فرنس في عدد أيار من المشرق بقلم الاب رفائيل نخله

٢) هذا عنوان الكتاب René Bazin de l'Académie Française: **Charles de Foucauld**, explorateur du Maroc, Ermite du Sahara

في تربية خيدهِ وغضَّ النظر عن نقائصهِ التي قويت وتأصلت في قلبهِ فاصبحت رذائل وخيمة العقبى

وكان اوَّل تهذيبهِ في مدرسة نانسي العلمانيَّة فنالهُ شيء من روح اساتذتها وتعليمها اللاديني ثم انتقل الى مدرسة الآباء اليسوعيين الشهيرة في باريس التي يستعدُّ فيها نخبة شبان فرنسة ليدخلوا في المكاتب العليا فيترشحوا للمناصب العسكرية البرّية والبحريَّة والمدنيَّة في سان سير وپوليتكنيك وسانترال لكنَّ معلّميهِ استاءُوا من سلوكهِ فاغتنموا فرصة بعض الحرافات في صحَّتهِ ليصرفوهُ سرّاً من المدرسة حفظاً على آدابها وكرامتهِ معاً . وكان شرل يتذكَّر بعدئذٍ سنين شبابهِ ويَنسب تمرُّدهُ في الآثم الى ما وجدهُ في نانسي من الحرّية السيّئة في مطالعة الكتب المادية للدين والآداب فيحذِّر الناشئة من اخطارها وسوء عقباها كما انهُ كان يشكو من تعاليم اساتذتهِ العلمانيين الذين افقدوهُ راحة قلبهِ بما نفثوهُ في نفسهِ من الاعتراضات على الدين باسم العلم الكاذب . وكان لو أراد يمكنهُ ان يحلَّ تلك المشاكل بمطالعة تفنيدها وتزييف سفسطتها في كتب جهابذة الدين واساطين العلم الصحيح لكنَّ اهواء قلبهِ أغشت على بصرهِ فاطلق العنان الى شهواتهِ

على انَّ السنين القليلة التي صرفها في مدرسة القديسة جنفياف للآباء اليسوعيين في باريس لم تذهب ضياعاً حيث اثَّر فيهِ مثل اولئك الرهبان الجامعين بين الفضل والفضيلة والعلم والدين وبقي طول حياتهِ حتى في ايام جهالاتهِ مدمناً على اكرامهم . لا بل كان يحسب ما طرق مسامعهُ هناك من المبادئ الصحيحة كاحد العوامل التي انهضتهُ من كبوتهِ واقالت عثرتهُ

لكنَّ شرل لم يستهدِ الّا بعد عدَّة سنين وكان مع تهاونهِ في الدروس امكنهُ ان ينجح في الامتحان المؤذن بالدخول الى سان سير وهو اوسع معاهد فرنسة العليا لكنهُ زاد هناك صلفاً واستهتاراً لم يهمّهُ الّا ارتشاف كأس اللذات وانتهاك حرمة الآداب حتى اضطرّ احد اقربائهِ ووصيُّهُ المسيو مواتسيه (Moitessier) ان يقيم عليهِ مراقباً شرعياً يمنعهُ من تبذير مالهِ بالاسراف

٢ الضابط

تعيَّن دي فوكو بعد خروجهِ من سان سير ملازماً اوَّل في فرقة الفرسان الرابعة

Hussard) *4) وأمر ان يسافر مع رجاله الى ستيف احدى مدن الجزائر في افريقية فانتقل اليها لكنهُ بقي مثابراً على سوء سيرتهِ وكان رؤساؤه يونبونهُ بلطفٍ عن تصرفهِ فلم يُصغِ الى كلامهم حتى خشوا ان يسري داؤهُ الى الجنود فخيّروهُ امّا ان يُطلق سراح المومسة التي استصحبها من فرنسة وامّا ان يقدم استعفاءهُ من الجيش ففضّل الاستعفاء موقتاً وغادر افريقية وسكن في ايفان من اعمال سافوا

فما مضى عليهِ هناك اشهر حتى بلغهُ الخبر انّ فرقة فرسانهِ عُهد اليها ان تسير الى بلاد وهران الجنوبيّة لردّ غارات الاعداء عليها . فكان لهذا النبأ اشدُّ وقع على نفسهِ ولم يشأ ان يهرق جنودهُ دماءهم في سبيل الوطن دون ان يشاطرهم الاخطار وينال معهم نصيبهُ من الشرف

فطلب ان يعود الى مركزهِ وكان في مقدّمة الفرسان الذين ساروا الى ساحة الحرب . فمنذ ذاك الحين اصبح شرل دي فوكو انساناً جديداً هجر الترف والملاذّ الباطلة وظهر في هيأة جندي باسل لا يبالي بالمصاعب ويسخر بالمتاعب يقود جندهُ بدراية وفطنة ويبذل نفسهُ دون راحتهم ويخفّف عنهم اعباء الخدمة طاقة جهدهِ حتى اكتسب محبّتهم واحرز اعجابهم . فكأنّ صوت الوطن استفزّهُ لينشر راية دولتهِ على تلك الانحاء ويمتّع اهلها بمدنيّة بلادهِ الراقية

على انّ اختلاطهُ بالعرب سكّان تلك البوادي المقفرة ونظرهُ لاحوالهم الدينيّة والمدنيّة اثار في نفسهِ رغبة التقرّب اليهم والبحث عن عوائدهم وتقاليدهم والتوغل في فلواتهم المقفرة ودیارهم المأهولة وذلك رغبة ان يُغني الجغرافيّة بمعلومات جديدة ويمهد السبيل للنفوذ الفرنسي في بلاد لم يطأها اجنبيٌّ بعد وبذلك يدّخر لنفسهِ سمعةً تليق باجدادهِ الكرام لكنّهُ ثبت في منصبهِ ريثما تهدأ الامور ويعود السلم الى نصابهِ

٣ الرائد

فالتمس شرل من وزارة الحرب ان تُعطى لهُ فرصة يتنحّى فيها عن الجيش ليقوم بمهمتهِ هذه ويحقّق امانيهُ . لكنّ الوزارة لم تُجب الى طلبتهِ فاستقال نهائيّاً من وظيفتهِ وطفق يبحث عن وسيلة ليُخرج فكرهُ الى حيّز الوجود وذلك بان يتجوّل في انحاء بلاد مراكش ويجمع عن احوالها ما استطاع من الافادات حيث لم يكن سبقهُ احدٌ

بعدُ الى استثبات امور تلك البلاد ووَصْفها وصفاً مدقّقاً . لكنّهُ عرف ما يحول دون عزيمتهِ من الاخطار الجمّة فما كانت تلك المعرفة لتزيدهُ الّا ثباتاً على قصدهِ . وكان اوّل ما اتّفق عليهِ رأيهُ ان يسير الى داخليّة مرّاكش على غير الطريق التي كان يسلكها السفراء من جهة الساحل لأمنها فعوّل على السير في اواسط البلاد ليطّلع على مجاهلها وكشف اسرارها

ثمّ اخذ ينكبّ على درس العربيّة ومطالعة ما كتبهُ العلماء عن مرّاكش واستشارة الرجال ذوي الخبرة في شؤون تلك البلاد استعدادًا لرحلتهِ وجهّز لهُ من الادوات الهندسيّة والآلات الرصديّة الدقيقة ما امكن لتدوين ملحوظاتهِ

واذ تحقّق انهُ لا مندحة لهُ للتوغّل في تلك البلاد الّا بزيّ اهلها العرب المسلمين او اليهود فضّل على الزيّ الاسلامي الذي كان تزيّا بهِ بعض الرحّالين قبلهُ كرينه كاليه (R. Caillie) وروهلس (Rohls) ولنز (Lenz) ملابسَ اليهود الساكنين في جهات مرّاكش فتردّى بقميص طويل فوقهُ جلابيّة قصيرة الكمّين واحتذى بنعل اسود وجعل على رأسهِ قبعة حمراء معمّمة بقطعة حرير اسود . وكان يعلم ان زيّهُ هذا يعرّضهُ لسخريّة العرب المسلمين المزدرين باليهود الّا انّهُ أمل بتنكّرهِ المذكور نجاح مسعاهُ ثمّ اتّخذ لهُ رفيقاً ودليلاً لسفرهِ ربّانياً يهودياً يُدعى مردكاي ابا سرور كان سافر قبل ذلك في انحاء مرّاكش فاستكتمهُ حقيقة امرهِ واطمعهُ بأجرة حسنة فرضي بمرافقتهِ . واتّفق معهُ بان يدعوهُ ربّي يوسف عليان من مهاجري روسيّة واحد زوّار اورشليم قدم الى مرّاكش بصفة سائح يجمع الحسنات لاهل جلدتهِ

٤ - رحلة شرل دي فوكو الى داخل مرّاكش

خرج دي فوكو مع رفيقهِ من مدينة الجزائر في ١٠ حزيران سنة ١٨٨٣ فمرّا بوهران فتلمسان وبلغا طنجة في ٢٠ حزيران . فهناك تجشّم رحلتهُ الى اواسط مرّاكش فدامت احد عشر شهرًا الى ٢٣ أيار ١٨٨٤ فسار اوّلاً على طريق فاس وكان يعرّج الى المدن التي يريد البحث عن احوالها فدخل طيطوان وششاون وتجوّل في جبال بني حسن . وكان حيثما يحلّ يتزل مع رفيقهِ في كنيس اليهود ولا يلبث ان ينفرد في مكان معتزل ويستخرج ادواتهِ كالحك (الابرة المغناطيسيّة) وميزان الحرارة وثقل

الهواء واقيسة أعراض البلاد وأطوالها وعلوّها فيدوّن نتيجة ارصادهِ في مذكّرة خاصّة ثم يضيف اليها ملحوظاتهِ عن حالة البلاد واهلها . وكان مردكاي يقوم في خدمتهِ ليمنع الناس عن اقلاقهِ وتشويش شغلهِ

ثم انتقل السائح الى فاس فقضى فيها شهر آب وافتقد نواحيها وروى ما رآهُ اهلاً بالذكر عنها وعن سكّانها واحوالهم الادبيّة والدينيّة . ثم رحل الى مكناس وبلغ «بو الجاد» حيث احتفى بهِ الحاج طيب قوس ولاسيَّما سيدي حاج ادريس الذي وقف على حقيقة امرهِ فاكرمهُ وسار في رفقتهِ الى قصبة بني ملّال ثمَّ الى تادلة . ثمَّ دخل من هناك بلاد الصحراء جنوبي مراكش فمرَّ بتيكرت وسار بسفح جبال الاطلس ووصل الى طرتيدا ثمَّ توجّه الى شواطئ بحر الاتلنتيك وقطع واحات تيسنت وزار مدينتها وشكر اهلها لحسن ضيافتهم ووجد في احدهم الحاج «بو ريم» صديقاً مخلصاً انقذهُ من ايدي بعض الاشقياء ورافقهُ الى وادي سوس جنوبي اغادير ثمَّ عاد الى الجزائر على طريق جديدة فوصف مدن طاطا تخت ومسقيطة ودادس وقصبة الشرفاء وذبدو وأوجة .

وقد قاسى شرل دي فوكو في رحلتهِ هذه من المشقّات والاتعاب ما يصعب وصفهُ فكثيراً ما كان يفترش الحضيض ويتضوَّر جوعاً وكاد غير مرَّة يسقط في ايدي قبائل همجيَّة وعُصب من صعاليك العرب فنهم من نهبهُ ومنهم من تهدَّدهُ بالموت فنجا من ايديهم بعناية خاصّة من الله وكان رفيقهُ مردكاي جباناً بليداً قليل المروَّة أصبح له في اثناء رحلتهِ عبأً ثقيلاً حتى انهُ تركهُ غير مرَّة فسافر الى بعض الجهات مع غيرهِ من اهل البلاد ثم يعود فيأخذهُ عند عودتهِ

امّا نتيجة هذه الرحلة فكانت بالغةً بما افادهُ دي فوكو للجمعيّات الجغرافيّة فانَّ هذا الرجل المقدام ما لبث أن جمع كلّ معلوماتهِ وتفاصيل رحلتهِ فنشرها تحت هذا العنوان (Reconnaissance au Maroc) فكان لكتابهِ هذا سمعةٌ طيّبة فاقبل على مطالعتهِ كلّ الباحثين عن مجاهل افريقية . ودونك ما قالهُ احد اعضاء جمعيَّة باريس المسيو دوڤرية (Duveyrier) الذي كان سبقهُ الى بعض تلك الاقطار واختبر مشقّاتها :

« انَّ الڤيكونت دي فوكو في خلال أحد عشر شهراً من ٢٠ حزيران ١٨٨٣ الى ٢٣ أيار ١٨٨٤ قد قطع مسافةً توازي ضعف المسافة التي جابها قبلهُ الكشّافون في مراكش فقطع ٢٢٥٠ كيلومتراً لم يسلكها قبلهُ احد وحدَّد العُروض والاطوال لخمسة واربعين موقعاً وعيَّن

علو بعض الجبال البالغة ٣٠٠٠ متر فيحق لنا ان نطري المسيو دي فوكو لفتحه مجالاً جديداً لعلم الجغرافية وانّا لفي ريب بين احد امرين أيّها اجدر باعجابنا أتلك التعليمات البيّنة المفيدة التي اتانا بها ام إقدامه وشجاعته بما اظهره هذا الضابط الفرنسوي بتضحية نفسه وهو في عنفوان العمر لخدمة العلم والمجد وطنه ٠

وقد أيّد الجغرافي الانكليزي بودجت ميكن (Budget Meakin) حكم المسيو دوفريه بقوله عن دي فوكو ٠ انّ ما قام به الرحّالون قبلهُ بالنسبة إلى مساعيه الطيّبة لا يُعَدّ الّا كالعاب صبيان ٠

وليست هذه النتائج العلميّة سوى قسم ممّا افادهُ شرل دي فوكو عن بلاد مرّاكش فانّ في كتابه من الملحوظات عن سكّانها وعوائدهم وطباعهم ما كشف القناع عن اهل تلك البلاد في قسميها اي بلاد المخزن الخاضعة للسلطان وبلاد الصبا المستقلّة الحرّة فوصف اخلاقهم وآدابهم القوميّة وسلوكهم في امور دينهم وقد رأى في الداخليّة كثيرين لا يكترثون لفرائض الدين قد حوّلوا مساجدهم الى فنادق وراقب امور دنياهم في معيشتهم الاهليّة في معاملتهم للمرأة التي يُنزلونها منزلة الأمة الذليلة وفي ولعهم العظيم باولادهم وفي تفانيهم في سبيل اصدقائهم . لكنّهُ وجد انحطاطاً كبيراً في الآداب بارتكاب قوم منهم الفحشاء جهاراً وبالطمع الاشعبي وبالتفاخر في السلب والنهب كما انهُ لحظ بينهم شيوع الخرافات يروّجها معلّمو الدين بعض النصّابين والمشعوذين

وكذلك وصف يهود مرّاكش فقال ان خلاصة دينهم حفظهم ليوم السبت وبعض الصلوات المفروضة بحسبه يضربون الصفح تماماً عن وصاياه تعالى العشر فيزعمون أنها اصبحت من الشاذّ لا تصلح الّا للاحداث

على ان شرل دي فوكو لا يصف بلاد مرّاكش واهلها كمتقدٍ وثلّاب ليستهجن امورهم ويستخفّ بهم بل كطبيب نطاسي يبحث عن الداء ليصف الدواء ويكشف على الجرح أملاً بمعالجته وشفائه . ومما لا يُنكر انهُ مذ ذاك الحين كلِف بحبّ مرّاكش واهلها حتى انها لم تعد تبرح من فكره بقيّة أيام حياته واليها وجّه نظره لما حاول المعيشة النسكيّة كما سترى

٥ اهتداء شرل دي فوكو الى نور الايمان

سبق لنا ان شرل دي فوكو كان لسبب تربيته السيّئة فقد نور الايمان وبتمادئه

تغلبت عليهِ النفس الأمارة فتبع شهواتها . الّا انَّ رجوعهُ الى ساحة الحرب ثمَّ مباشرتهُ تلك الرحلة الى مجاهل مراكش حوّلا مواطنهُ الى ما هو اشرف واجلّ . ومما اثَّر فيهِ اشدَّ التأثير في بلاد مراكش ما رآهُ في معظم مدنها من تعظيم الدين وتكرار الاسم الكريم في افواه اهلها والمجاهرة بالمعتقد الاسلامي في التأذين والحفلات الرسمية فكان ذلك كمنخازٍ لضميرهِ اذ يقابل بين موقفهِ الديني وهو المدّعي بالرقيّ والتمدُّن وهؤلاء الشعوب الذين يعتبرهم بعيدين عن المدنيَّة العصريَّة . فاخذ يفكّر في دين اجدادهِ ويتذكَّر ما سمعهُ من التعاليم في مدرسة الآباء اليسوعيين في سنت جنفياف . فجعل اولاً يطالع كتب الفلاسفة الاقدمين لعلَّه يقتنع بحججهم لكنَّ الفلسفة النظريَّة دون الصلاة والانعمة قلّما تأتي بفائدة . وانما استفاد من تلك الدروس انهُ اقلع عن عوائدهِ الذميمة وصرف ذهنهُ الى واجبات الحياة والعيشة الادبيَّة .

ولمَّا عاد من افريقيَّة الى فرنسة سكن بين اهلهِ واقاربهِ في دار اختهِ مادام مراتيه مع بنات عمهِ وكلهنَّ من شرفاء فرنسة عريقات بالدين . وكان يتردَّد الى بيتهنَّ كاهنٌ من ذوي الفضل والعلم يدعى الاب هوفلين مع بعض مشاهير الكاثوليك . فكان شرل يجد بينهم من اللطف والانس وشرائع الدين ما كان يجذبهم اليهِ فيستنشق عرف فضائلهم ويحيك مثلهم في قلبهِ وربَّما كان يناجي نفسهُ قائلاً : «ما بال هؤلاء الرجال والنساء وهم من نخبة اهل بلادنا فضلاً وذكاء يخضعون لتعليم الايمان الكاثوليكي فلولا انهُ الايمان الحقّ لما اقتسروا نفسهم ليعيشوا بموجب فرائضهِ . فما أحرى بي ان ادرس ديني هذا واتحقَّق صحتهُ فأسير بمقتضى واجباتهِ »

ومن ثمَّ عمد شرل الى بعض الكتب الدينيَّة وأعمل فيها نظر ذهنهِ فاذا بنور الحقيقة بزغ لهُ وسطعت شموس الايمان الكاثوليكيّ فسبت قلبهُ واندفع يصلّي الى الله لينير بصيرتهُ ويبيّن لهُ ما يطلبهُ منهُ ويهديهِ الى الصراط المستقيم . واذ احسَّ بانَّ ضميرهُ مُثقل بالاوزار السابقة ادرك ضرورة التوبة والاقرار بخطاياهُ الى كاهن فتردَّد حيناً يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى الى ان قام في صباح احد أيام تشرين الاول سنة ١٨٨٦ فدخل في كنيسة القديس اوغسطينوس في باريس واذا بالاب هوفلين في كرسيّ الاعتراف فانحنى اليهِ قائلاً :

يا حضرة الاب لا اعرف الايمان فارجوك ان ترشدني

فنظر اليه الاب هوڤلين فعرفهُ وقال: اجثُ مقرًّا بخطاياك فسوف تؤمن

قال شرل: ما اتيتُ لذلك

قال الكاهن: لا بأس. اعترفْ فانا أُرشدك

فشعر دي فوكو انَّ ساعة اهتدائهِ قد قربت وان نور الايمان لا يُضيءُ في النفس الّا اذا طهرتْ من اوزارها. فاقرَّ بآثامهِ خاشعاً مقتناً حتى اذا انتهى من اقرارهِ استلك الايمان على قلبهِ وانقشعت كلُّ ظلمات عقلهِ. ولمَّا نهض مأزوراً بحلّة الكاهن سألهُ المرشد: اصائم انت؟ قال: نعم. قال: اذهب اذن وتناول القربان الاقدس

فاقترب شرل دي فوكو للحال من المائدة المقدَّسة. وخرج بعد ساعة من الكنيسة والقلبُ مفعم سلاماً وفرحاً لم يعهد بهما سابقاً

٦ المرشدي والراهب

قد ظهرت لنا في ما سبق شجاعة دي فوكو وبسالتهُ ورباطة جأشهِ في رحلتهِ الى مرَّاكش انما تلك المزايا الحسنة كانت مآثر طبيعيَّة يُعجب بها الناس. أمَّا الآن وقد تسلَّطت النعمة على نفس المهتدي فقد عزَّزت تلك الاعمال الطبيعيَّة وحوَّلتها الى فضائل مسيحيَّة سامية بلغت صاحبها الى اوج الكمال

اخذ المهتدي يلازم الصلاة ويواظب على الاسرار [illegible]سية ويغذي نفسهُ بقراءات

الكتب التقويَّة فحقرت في عينهِ الدنيا واراد ان يزهد [illegible] فبعد ان استشار مرشديهِ

وتحقَّق الدعوة الالهيَّة هجر العالم وترك ثروتهُ لاختهِ و[illegible] الترهُّب بين الترابيستيين

ودخل ديرهم المدعو دير سيّدة الثلوج في اعالي جبال [illegible] في ١٥ ك ١ سنة ١٨٩٠

وهذه الرهبنة كما هو معلوم ذات قوانين شاقَّة [illegible] على ذويها من التقشفات

والصيامات والاشغال اليدويَّة مع ممارسة اخصّ الفضائل [illegible] قاهرة للاميال البشريَّة.

فلما انضوى اليها شرل دي فوكو مارس بكل نشاط [illegible] فرائضها الَّا انَّ الله

افتقدهُ باليبوسة الروحيَّة كما يمتحن اولياءهُ ليزيدهم تجرُّدَ [illegible] نفوسهم وثقةً بهِ تعالى

وحداهُ فصبر على محنتهِ واضاف اليها التقشفات الصارمة لـ[illegible] اهواء نفسه

وكان قلبهُ لا يزال هائماً بحب بلاد الشرق ليعيش فيه [illegible] مجهولاً في الفقر المُدقع

والاتعاب المضنكة فارسلهُ رؤساؤهُ الى ديرهم في اكب [illegible] الواقع في حدود سوريَّة

في ولاية آطه على مسافة يومين من الاسكندرونة وكا[illegible] وصولهُ اليهِ في اواسط